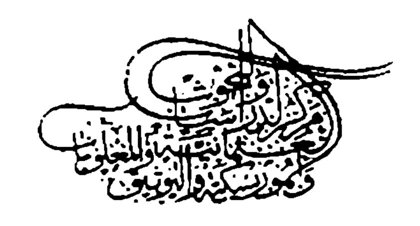


الدكتور عبد الجليل التميمي
الأستاذ بكلية العلوم الإنسانية والإجتماعية
لجامعة تونس

الدولة العثمانية
وقضية الموريسكيين الأندلسيين

ت مركز الدراسات والبحوث العثمانية والموريسكية والتوثيق والمعلومات

زغوان 1989

منشورات
مركز الدراسات والبحوث العثمانية والموريسكية والتوثيق والمعلومات

المدير المسؤول
أ. د. عبد الجليل التميمي

من نشاط المركز

انشئ هذا المركز منذ أربع سنوات بمدينة زغوان من طرف د. عبد الجليل التميمي ، الاستاذ بكلية العلوم الانسانية والاجتماعية لجامعة تونس. ومن أهدافه :

– انشاء مركز معلومات تاريخية عثمانية وموريسكية وتوثيق ومعلومات وقاعدة بيانات للارشادات البيلوغرافية بالموضوعات السالفة الذكر.

– انشاء مكتبة متخصصة في هذه الاختصاصات الحيوية من المعرفة وقد افتتحت في ربيع هاته السنة.

– القيام بالدراسات والبحوث والنشر في مجال الدراسات العثمانية والموريسكية والتوثيق والمعلومات والارشيف . (راجع قائمة منشورات ص 4).

– ارساء تعاون علمي بين الباحثين العرب والاتراك والاسبان وكل المتخصصين الدوليين الذين يشاركوننا هذا الاختصاص.

– يشرف المركز على نشر دورتين أكاديميتين هما : المجلة التاريخية المغربية التي بدأت صدورها منذ سنة 1974 وصدر منها العدد 54 عددا، والمجلة التاريخية العربية للدراسات العثمانية (تحصلنا على الرخصة بصدورها قبل شهرين . ويتوقع ظهور العدد الاول في صيف 1989).

نظم سبع مؤتمرات دولية منتظمة تجمع أهم المتخصصين العرب والدوليين حول الدراسات العثمانية والموريسكية والتوثيق والمعلومات.

طبع هذا الكتاب بدعم من سعادة السفير الأستاذ علي حسين المفتاح

الطبعة الأولى – شهر أوت 1989

تم سحب الطبعة [illegible] بمطبعة بابيريس في أوت 1989
(م ت ك . ك - ISBN - 9973 - 719 - 08 - 5 -)

الدولة العثمانية
وقضية الموريسكيين الأندلسيين

كشاف الموضوعات

— 1 — القسم العربي

— 2 — القسم الفرنسي

نفس الدراسات الخمس وكشاف الإعلام والجماعات والأماكن الجغرافيّة وقائمة المراجع...

(1) نشرت هاته الدراسة بادئ الامر في المجلة التاريخيّة المغربيّة عدد 23 - 24، ص ص 187 - 200 ، تونس 1981.

(2) نشرت هاته الدراسة في المجلة التاريخية المغربية عدد 3، ص ص 37 -46، تونس، 1975.

(3) نشرت هاته الدراسة في المجلة التاريخية المغربيّة، عدد 7-8 ، ص ص 7-14، تونس 1977.

(4) نشرت هاته الدراسة في المجلة التاريخيّة المغربيّة ، عدد 49 - 50، ص ص 91 -106 ، تونس ، 1988.

(5) نشرت هاته الدراسة في المجلة التاريخيّة المغربيّة ، عدد 10 - 11، ص ص 5 -44 ، تونس ، 1987.

تقديـــم

إنّه لمن دواعي عميق امتناني وغبطتي أن أوفق في إنجاز هذا الكتاب الذي يقدم للقارئ العربي والمسلم حصيلة خمس دراسات عن تاريخ الموريسكيين - الأندلسيين، كنا قد نشرناها في المجلة التاريخيّة المغربيّة وتناولت موضوعا جديدا وهاما يتعلق بسياسة الدولة العثمانيّة تجاه المسألة الموريسكيّة - الأندلسيّة

والحقيقة لقد لفت انتباهي أكثر من باحث ومؤرخ منذ مدة إلى ضرورة تجميع تلك الدراسات في كتاب مستقل ونشره تعميما للفائدة خاصة وأنّه تناول موضوعا حرجا ودقيقا جدا تضاربت حوله الآراء والمواقف.

وقد زادتني الأيام اقتناعا بوجاهة هذا الاقتراح بعد سلسلة المؤتمرات العالميّة التي نظمناها بزغوان وتونس وتناولت تاريخ الموريسكيين - الأندلسيين انطلاقا من سقوط غرناطة سنة 1492 وحتى الطرد النهائي للمسلمين من الأندلس سنة 1609 وكان يثار دوما في هذه المؤتمرات نقاش وتساؤل حوله ندرة الوثائق العربيّة والعثمانيّة لهذا الموضوع، اذا قيس ذلك بضخامة الرصيد الأرشيفي الاسباني والذي تجاوز عدة ملايين.

وردا على هذه التساؤلات، فإنّ الدراسات التي نقدمها اليوم قد اعتمدت أساسا على الوثائق العثمانيّة التي عثرنا عليها في أرشيف رئاسة الوزراء باستانبول أو تلك التي صدرت عن السلطان العثماني ووجهت إلى دوج البندقية وتناولت موضوع الموديسكيين الأندلسيين، وهي لعمري وثائق في منتهى الأهميّة التاريخية، مكنتنا ولأول مرة من بحث هذا الموضوع التاريخي وتأطيره تأطيرا منهجيا وعلميا.

١

وعلى الرغم من أنني قمت بهذه البحوث في فترات متباعدةزمنيا، الا أن تجميعها اليوم في هذا الكتاب دون أجراء أي تعديل عليها، قد أسعدني حقا لسببين، أولاهما أنني إزددت اقتناعا بهذه النتائج والتي لم يطرأ عليها أي جديد البتة منذ نشرها حتى اليوم، وثاني السببيين أنها قدمت رؤيّة شموليّة موحدة ومتكاملة لموقف الدولة العثمانيّة تجاه المسألة الموريسكيّة ، ولا أكتم القارئ سرا إن بحت له بأني سعدت تماما بقراءة هذا الكتاب في صيغته الجديدة وتعلمت منه، وقد وجدته أقرب الكتب الى نفسي ومشاعري، خاصة وأنّه سعى إلى توضيح موقف الدولة العثمانيّة تجاه موضوع الموريسكيين الأندلسيين ورفع التهم التي مافتئ بعض المؤرخين يلقونها جزافا واعتباطا دون أن يكلفوا أنفسهم مشقة العمل في دور الأرشيفات العربيّة والعثمانيّة والأوروبية للعثور على مادة وثائقيّة جديدة لا سبيل للقدح فيها أو التقليل من شأنها. ذلك أن مستقبل البحث التاريخي العربي يتوقف أساسا على توظيف مسؤول ومنهجي لأرصدة الوثائق الجديدة التي يسعى الباحثون الجادون إلى استنطاقها وتوظيفها في دراساتهم التاريخيّة.

ونحن نأمل بتقديم هذه الدراسات التاريخيّة أن نكون قد خدمنا تاريخ أمتنا وقربنا كثيرا من خفايا وإشكاليات هذا الموضوع إلى العرب والمسلمين والذين لا يعلمون إلا النزر اليسير عن مأساة الموريسكيين - الأندلسيين. كان اللّه في عوننا ما دمنا نعمل من أجل كتابة تاريخيّة منصفة وعلميّة لأمتنا، ومن اللّه التوفيق.

زغوان في 1 ماي 1989   د: عبد الجليل التميمي

الدولة العثمانية وقضية الموريسكيين الأندلسيين

يعد المشكل الموريسكي احدى المعطيات الثابتة التي سيطرت على القرن السادس عشر في البحر الابيض المتوسط ؛ ولا شك ان ارتباطه وتأثيره على البلاد الاسلامية كان أشد واقوى مما كان عنيه في البلاد الغربية ، واذا كانت الدراسات عن هذا المشكل قد تعددت في البلاد الأوروبية خاصة (1) ، فهو بدون شك ، ما زال يحتاج الى دراسات شمولية تأخذ بعين الاعتبار كل الابعاد الحقيقية لهذا الموضوع ، وهذا على ضوء الدور الذي لعبته الامبراطورية العثمانية حياله

يهدف بحثنا ، بتواضع ، الى عرض بعض الانطباعات التي حصلت من قراءة الدراسات التاريخية الموريسكية ، وهي الانطباعات التي اثريناها بعدد من المعطيات الجديدة التي استمدت من الوثائق العثمانية حول هذا الموضوع ، ودون أن نشير هنا مختلف الاحداث الموريسكية المعروفة ، فاننا من جهة أخرى ، نرغب في عرض بعض الملاحظات التي استنتجناها من تأملاتنا بصورة عامة حول الكتابات التاريخية الموريسكية الغربية

اولا : ان المؤرخ العربي ـ الاسلامي ليسترعي انتباهه ، بصفة شرعية ، استعمال اصطلاحات مغرضة من شانها تهزيل « الطرف المقابل » وهذا ما يؤدي بالنتيجة الى تشويه المشكل الموريسكي على حساب المسلمين، ذلك أن فترة القرن السادس عشر، ويجب ان لا نغفل عن ذلك، قد غلب عليها الصراع الديني، وانه في اغلب الحالات كانت الحروب من أجل الدين أو بواسطته ؛ وعلى ضوء ذلك فان معظم المؤلفين ، حتى يومنا هذا ، الا قلة نادرة جدا ، تتصف

(1) لقد اطلعنا على عمل السيدة مارتين رافيار والذي مازال مخطوطا
Martine Ravillard, Bibliographie commentée des Morisques,
Documents imprimés de leur origine à 1978, 263 p.
(البيبليوغرافيا المفسرة للمؤلفات عن الموريسكيين . المصادر المطبوعة منذ البداية الى سنة 1978) .
وعلى الرغم من أن جل المؤلفات المذكورة كانت غربية ، فقد تعذر علينا الرجوع الى المصادر الاسبانية . اما الفرنسية او الانجليزية ، فقد بذلنا جهدا للاطلاع عليها ، الا ما استحال العثور عليه اثناء قيامنا بهذا البحث .

عروج وخير الدين بربروسة ودرغوث أو قليج علي باشا بالقراصنة (2) والمغامرين أو المتوحشين (3) ، وكان مدلول لفظة القرصان محقرا جدا وهو الشخص الذي لا يشغله الا الاستيلاء على الغنائم والانقضاض على البواخر وتدمير سواحل العدو وفرض العبودية على الاسرى .

ان هذا التفسير غير عادل تماما، لانه ينكر على الطرف المقابل، أن تكون لديه دوافع نبيلة توجه حركته وهو في نفس الوقت يرفض الرؤية الشاملة للمشاكل والنظرة التكاملية للتدخل العثماني في هذه القضايا العامة ، ذلك ان الامبراطورية العثمانية التي تمثل الخلافة الاسلامية مع كل ما تستلزمه من واجبات ، لا يمكنها الا تقديم مساعدتها لدولة أو أقلية اسلامية تطالبها بذلك وإذا كان القراصنة المسيحيون قد تميزوا بالفعل بالجري وراء الغنيمة قبل اي اعتبار اخلاقي او انساني وجمعوا اموالا ضخمة مثل القرصان انقو (Ango) الذي يعتبر اغنى رجل في فرنسا وحيث بنى بمنطقة (دياب) (Dieppe) نزلا نقشت اخشابه بماء الذهب وزينت نقيشاته وزخرفت شرفاته على الطريقة الايطالية » (4) ، فان البحارة العثمانيين في ذلك الوقت قد تميزوا خاصة بالايمان والعقيدة التي وجهت نشاطهم ، وبطاعتهم للسلطة الدينية العليا وبحميتهم للدفاع عن مصالح الامبراطورية العثمانية

---

(2) W. Louis, Charles-Quint Empereur d'Occident (1500 - 1528), Paris, 1980, p. 126.

ننقل هذه الفقرة الدالة على نوعية الاحكام المسبقة والتشويه التاريخي الذي انتشر من خلال كل الكتابات الغربية منذ العصر الحديث ، مؤملين أن يقوم أحد الباحثين باستقراء وتحليل النصوص المتوفرة في اطار رسالة جامعية او بحث متكامل . نثبت هنا عينة من هذه النصوص من الكتاب المذكور أعلاه : « يعتبر قراصنة شمال افريقيا المسلمون ، على الرغم من التأديب المتواصل الذي قام به الاسبانيون تجاههم ، مصدر قلق للسواحل الجنوبية الايطالية والاسبانية . وكانت قسوتهم فظيعة جدا ، ومهارتهم وجسارتهم مخيفة جدا ، اذ بفضل بواخرهم السريعة ذات الاشرعة المتعددة ، يندفعون من موانيء وهران وبنزرت وصفاقس وتلمسان ومن عشرة مراكز اخرى على الساحل الافريقي ، منقضين كالنسور على السواحل المقابلة ، ليسلبوا ويحرقوا المدن والقرى ويقودون الرجال والنساء والاطفال افواجا معهم . أما الرجال فيتركونهم عرايا ويقيدونهم الى المجاديف ويجلدونهم بسياط طويلة ويعاملونهم باقل احترام من الدواب ، الى أن يغشى عليهم تحت السياط أو أن موتا سريعا يعجل اليهم اثناء احدى المعارك . أما النساء ، فيتم ارسالهن الى الحريم والاطفال يربون وكأنهم مسلمون » .

(3) Loup Durand, Pirates et Barbaresques en Méditerranée, p. 56.

يعتبر هذا الكتاب نموذجا جيدا لكل هذه الاحكام الخاطئة والاعتباطية التي انتشرت وعم استعمالها منذئذ .

(4) A. Thomazi, Les flottes de l'or, Histoire des galions d'Espagne, pp. 44 - 46, Paris, 1952.

وهذا بكثير من التضحية وانكار الذات (5) وهذا ما يجعلنا نذهب الى الاعتقاد ان القاء مثل هذه الأضواء سيساعدنا على تحليل موقف الدولة العثمانية حيال المشكل الموريسكي والاحداث المغربية بشكل أكثر فهما وعمقا ووضوحا

ثانيا ان مسألة استعمال المصطلحات التاريخية تثير استغرابنا من ذلك مثلا « **قطاع الطرق الموريسكيون** » في القرن السادس عشر (6) وقد اكد هؤلاء المؤرخون انه في الغالب بعد الطرد النهائي للموريسكيين سنة 1609 ، انمحت ظاهرة اللصوصية وهذا بسبب القضاء على الوجود الموريسكي ان الاعتماد على معطيات دور وثائق محاكم دواوين التفتيش وشهود العيان المسيحيين في تلك الفترة للتأكيد على ظاهرة اللصوصية وقطاع الطرق معناه التنكر وعدم ادراك أسباب وبواعث الموريسكيين للقيام بذلك وقد عدهم البعض قتلة مجرمين لانهم اعدموا عشرات الاشخاص (7)

ومن جهة أخرى ألم يصرح محمد بن امية زعيم الثوار الغرناطيين سنة 1568 ، بشكل واضح ودقيق « اننا لسنا جماعة من

---

(5) خليل الساحلي ، « وثائق من المغرب العثماني أثناء حرب مالطة سنة 1565 » في : **المجلة التاريخية المغربية** ، عدد 7 ــ 8 ، تونس ، 1977 ص 47 ، وحيث تمثلت ثروة درغوث باشا بعد مقتله أثناء الحملة ، في ستة اسرى وجب ارسالهم الى استانبول وان البقية البالغة ما بين 60 و70 سيبقون لاصلاح قلعة طرابلس الغرب .

(6) Bernard Vincent, « Les bandits morisques en Andalousie au XVIe siècle », in, **Revue d'Histoire moderne et contemporaine**, 1974, pp. 389 - 400.

راجع ايضا :

F. Braudel, **La Méditerranée et le monde méditerranéen à l'époque de Philippe II**, 2ème édition, t. II, p. 369.

وحيث اعتبر بقايا ثوار البشرات الغرناطيين كقطاع طرق . والشيء الذي يؤسف له كثيرا أن ترد مثل هذه التاكيدات من طرف أحد المؤرخين المشهورين عالميا والمتخصصين في هذا الموضوع . وهذا ما يجعلنا نؤمن ان المؤرخين الغربيين قد عالجوا المشكل الموريسكي على أساس أنه موضوع تاريخي أوروبي أي أنه موضوع مسيحي،في حين وجب عده موضوعا تاريخيا اسلاميا قبل كل شيء ، وانه على ضوء هذه المشكلة وجب تغيير،بطريقة جذرية ، كل معطيات المشكل الموريسكي بالنسبة لكل المؤرخين الغربيين .

(7) V. Bernard, op.cit., p. 397 ، يذكر أن موريسكيا بسترو لورنزو تجور (Pastro Lorenzo Tecre) والبالغ من العمر 24 سنة قد اعترف انه قتل 63 شخصا (وهذا وفقا لارشيف محاكم دواوين التفتيش) ويحق لنا أن نتساءل : هل درست الاسباب الحقيقية لهذا « القتل » ؟ وما هي خلفية ذلك ؟ سوف نحيد عن الواقع التاريخي اذا لم نفهم عن بصيرة ووعي الملابسات الحقيقية التي حفت بهذا الاختناق الاختناري للموريسكيين .

اللصوص بل اننا نشكل مملكة » (8) اننا لا نود أن ننكر ما حدث غير اننا من جهة أخرى وجب ان نذكر هنا ان هؤلاء الموريسكيين قد حوربوا في هويتهم الثقافية وانتمائهم الى الحضارة العربية - الاسلامية بعد ان امرتهم محاكم دواوين التفتيش بجلب كل ما يملكونه من كتب ومخطوطات حررت باللغة العربية ليتم حرقها قصدا (9) وهذا ما لم يقم به العرب على الاطلاق عندما فتحوا اسبانيا او غيرها من البلدان. وأن هؤلاء الموريسكيين لمسوا كيف أن اسبانيا الكاثوليكية قد صبت عليهم جام غضبها وحولت حياتهم الى جحيم دائم حتى يوم الطرد النهائي وعلى ضوء ذلك كيف لا نفهم دون ان نؤيد المبدأ ان العنف لا يجلب الا العنف وان اليأس يجر وراءه الانتقام هل بعد هذا نسمى هذه الثورة

اليائسة لصوصية والتى لا يمكن أن تعبر عن وجودها الا عن طريق الدم والعنف ؟

ثالثا ان الذى يلفت انتباهنا أيضا هو فقدان الدراسات تماما حول الاقلية الموريسكية التي استقرت باستانبول والتى كما يبدو قد لعبت دورا رئيسيا وهاما لدى المسؤولين العثمانيين وذلك عن طريق تقديم شبكة من المعلومات الصحيحة والتى اكتسبوها بفضل معرفتهم الجيدة والعميقة لاسبانيا

وإذا كانت الاضواء قد ألقيت على الاقليات الاندلسية بالايالات المغربية بعد طردهم النهائي (10) ، فاننا ما زلنا نجهل الكثير عن الدور الذى لعبته منذ بداية القرن السادس عشر وعلى جميع المستويات بالايالات المغربية

لقد اشتهر الاتراك - العثمانيون ، فى هذه الفترة بأنهم الوجوه الحقيقية للاسلام (11) وان قدرتهم أصبحت احدى المعطيات المميزة

---

(8) Henry Kamen, **L'histoire de l'Inquisition espagnole**, p. 115., Paris, 1966.

(9) Louis Cardaillac, **Morisques et Chrétiens. Un affrontement polémique (1492 - 1640)**, p. 56, Paris, 1977

راجع ايضا : محمد عبد الله عنان ، « نهاية الاندلس وتاريخ العرب المتنصرين » الطبعة الثالثة ، ص 358 ، القاهرة ، 1966

(10) راجع هذه النصوص
Mikel de Epalza et René Potit, **Etudes sur les moriscos andalous en Tunisie**, 385 p. + Index, Madrid - Tunis, 1973.

(11) Albert Mas, **Les Turcs dans la littérature espagnole du siècle d'Or**, t. 1. p. 202, Paris, 1967

للسياسة والفكر الاسبانيين (12) وان انتصاراتهم ـ باعتبار ان سلطانهم هو حامي الحرمين الشريفين ـ قد منحت الموريسكيين مناخا للمقاومة الشديدة ضد تعميدهم ودمجهم في المجتمع الاسباني (13) وهذا ما جعل الكاتب الشهير سرفانتس (Cervantès) يصرح بأن الاتراك، العثمانيين قد ارسلوا للانتقام من ذنوب المسيحية (14)

ماذا كان موقف العثمانيين تجاه المسألة الموريسكية ؟ ثم ماذا كان وزن هذا المشكل على سياستهم العامة بالبحر الابيض المتوسط وفي اوروبا ؟ لا شك أنه انطلاقا من الاستيلاء على القسطنطينية والانتصارات العسكرية التي تحققت في اوروبا الشرقية ، أصبح الاتراك ـ العثمانيون يتمتعون بوزن ديني وعسكري وسياسي ذي أهمية كبرى في هذا التوازن في البحر الابيض المتوسط ، وهذا بفضل قوتهم البحرية والبرية وخاصة اثناء حكم بايزيد الثاني (15) وقد وجهت الى هذا الاخير خمس سنين قبل سقوط غرناطة ، أي سنة 1487 سفارة اندلسية لتقدم رسالة الى السلطان العثماني ، هي الى طابع الرثاء العربي اقرب منها الى شيء آخر ، وفيها يشتكي الاندلسيون من المعاناة التي يتكبدها المسلمون وكيف أن سقوط الاسلام في اسبانيا وشيك الوقوع وقد طلبت الرسالة بعبارات مؤثرة جدا مساعدة الشعوب والملوك المسلمين (16) ان السلطان بايزيد الذي عرف بالتقوى وبالتدين (17) قد رد على هذا الاستنجاد بارسال أسطول عثماني تحول الى الشواطىء الاسبانية وقد أعطى رئاسة قيادته الى كمال رايس الذي أصبح بعدئذ يجسم الرعب الذي كانت تشعر به الأساطيل المسيحية في أواخر القرن الخامس عشر الميلادي (18)

انه من المستحيل علينا ان نحدد بدقة شبكة المعلومات التي يملكها المسؤولون العثمانيون في أواخر القرن الخامس عشر عن اسبانيا والاندلس والموريسكيين ، الا ان رد فعل بايزيد الثاني بقيامه بمساعدة أمير مسلم أنما كان يترجم عن شعور بالقيام بواجب ديني وحيث كانت الاخوة والتضامن

(12) المصدر نفسه ، ج2 ، ص154

(13) المصدر نفسه ، ج2 ، ص284 .

(14) المصدر نفسه ، ج1 ، ص333 .

(15) V. S. Parry, « Bayazid II », in, **Encyclopédie de l'Islam (E.I.)**, t. 1, pp. 1153 - 1155.

(16) Hammer. **Histoire de l'Empire ottoman**, t. IV, p. 21, Paris, 1836.

(17) عدنان البخيت ، « رسالة من السلطان العثماني بايزيد الثاني الى عبد المؤمن ابن ابراهيم ابن عمرو الحلمي سنة 896هـ/1495م » في **المجلة التاريخية المغربية** ، عدد 10 ـ 11 ، ص69 ، تونس ، 1978

(18) Hammer, op.cit., t. IV, p. 21.

الاسلاميين تفرضهما فرضا كما وجب أن لا نغفل لوجود عامل آخر للحصول على المعلومات عبر العالم الاسلامي ، اذ قوافل الحجيج السنوية التى تتحول الى البقاع المقدسة كانت مناسبة للقاءات المسلمين العالمية ، ولا شك أن المشكل الموريسكي والاخبار الموريسكية كانت تتناقل ، تناقش وتنتشر عبر العالم الاسلامي وأننا لا نستغرب على ضوء ذلك ، أن تعظم سمعة الامبراطورية العثمانية وشهرة أسطولها وقوة جيوشها البرية ، ذلك ان الاسلام في الامبراطورية العثمانية يحتل المكانة الأولى (19) ، وقد دخل الاتراك منذ العصور الوسطى فى الاعمال الادبية الأوروبية (20) ثم الم يصرح مفتى وهران فى رسالة كان قد وجهها الى مسلمى الاندلس سنة 1503 قائلا « اني أدعو المولى سبحانه وتعالى أن يغير الاحداث لصالح دين الاسلام ، وحتى تتمكنوا من عبادة الخالق دون لوم أو أى خوف ، وهذا بفضل التحالف مع الامراء الأتراك » (21)

وبالفعل فقد أصبحت استنابول منذ بداية القرن السادس عشر « الأرض الموحدة » بالنسبة للمضطهدين سواء أكانوا مسلمين أو يهودا وأن عددا من الموريسكيين قد حاولوا التحول اليها الا أن الاغلبية كانت تفضل مجيء الاتراك ـ العثمانيين الى أسبانيا (22) ، ومع هذا فان اللاجئين الموريسكيين والأقلية الموريسكية أخذت فى الازدياد وأصبح بامكانهم ان يلعبوا دورا رئيسيا لاحاطة رجال الدولة العثمانيين بالوضع المؤلم والحقائق المذهلة لكل ما يتعلق بالموريسكيين ، ذلك أن هؤلاء « كانوا متيقنين من اعانة السماء والأتراك لهم » (23)

اما قنصل البندقية فقد ذكر أن عددا كبيرا من اللاجئين الموريسكيين يمتهنون الترجمة أو الاستخبارات (24) لفائدة الامبراطورية العثمانية وأنهم

---

(19) Mas, op.cit., t. 1, p. 11.

(20) المصدر نفسه ، ص10 .

(21) J. Cantineau, « Lettre du Moufti d'Oran aux Musulmans d'Andalousie », in, **Journal Asiatique**, janvier - mars, 1927, p. 1?

(22) Mas, op.cit., t 1, p. 151.

(23) L. Cardaillac, « Le Turc, suprême espoir des Morisques » in, **Actes du Premier congrès d'Histoire de la Civilisation du Maghreb**, t. 2, p. 40, Tunis, 1979.

(24) F. Braudel, « Conflits et refus de civilisation. Espagnols et Morisques au XVIe siècle », in, **Annales. E.S.C.**, 1947, p. 402.

Cf. Fonseca, **Justa expulsion de los moriscos de Espana**, Roma, 1612, pp. 200 - 201, cité in, H. Lepeyre, **Géographie de l'Espagne morisque**, p. 208, Paris, 1958.

اين يذكر المؤلف الاول أن الاقلية الموريسكية الاراغونية بسالونيك وصل عددها الى 500 ، كما يوجد 500 آخرون و600 من اشبيلية باستانبول

يؤمنون كل المراسلات تقريبا والتي كانت تتم مع الايالات المغربية ومع المدافعين عنهم أينما كانوا (25) ، وحتى اليهود فقد اتهموا بالجوسسة والاستخبارات لفائدة العثمانيين (26) وهذا ما كان محتملا وحتى كريستوف ريقوندوف (Christophe Rigendorf) نقيب حرس شارل الخامس وابن المدافع عن أسوار فينا ، فانه قد وصل الى مركز الخلافة وقدم خدماته للسلطان سليمان القانوني ضد ملكه شارل الخامس (25 سبتمبر 1543) (27)

ان مختلف المعلومات التي كانت تصل الى مركز الامبراطورية العثمانية عن الموريسكيين ابتداء من النصف الثاني من القرن السادس عشر تؤكد بصورة لا مجال للشك فيها ان رجال الدولة العثمانيين كانوا يراقبون ويتابعون عن كثب معطيات المشكل الموريسكي ، وقد ذكر أحد التجار الألمان المقيمين باستانبول حوالي سنة 1560 أن الشائعات كانت تروج بمركز الخلافة العثمانية حول وجود 80 الف موريسكي قد التجأوا الى فاس وأنهم اعتنقوا البروتستانتيه لغرض الانتقام من محاكم دواوين التفتيش الاسبانية (28) ، ويعتبر هؤلاء اللاجئون مرآة صادقة تدل على عمق المأساة التي يعيشها الموريسكيون على الارض الاسبانية ، وقد أعلن بعضهم أنهم « سوف يلحقون الضرر بالمسيحيين مثل ما فعل هؤلاء بالموريسكيين باسبانيا » (29)

وقد نتج عن ذلك حركة دائبة من الزيارات بين مركز الامبراطورية العثمانية والايالات المغربية واسبانيا ويكفى دلالة على ذلك تصفح **المصادر المخطوطة الفرنسية لتاريخ المغرب الاقصى** وحدها ليتأكد لدينا مدى استمرارية واتساع مجال الاتصالات على أعلى مستوى وعلى ممر السنين والأحداث وكيف أن تلك الاتصالات كانت لها أبعد الأثر على

---

(25) Braudel, **La Méditerranée** ...op.cit., t. 2, p. 360.

(26) Paul F. Grandler, **The Roman Inquisition and the Venetian Press** (1540-1602), p. 144, Princeton, 1977.

(27) Hammer, **op.cit.**, t. V, p. 394.

(28) Guy Turbel-Delof, **L'Afrique Barbaresque dans la littérature française aux XVIe et XVIIe siècles**, p. 230, Genève, 1973.

ومما يؤكد هذه الظاهرة وجود مذكرة للدفاع عن القلاع الاسبانية بالبرتغيا وقد جاء فيها :
« ان كبراء الموريسكيين جعلهم يستفيدون من المعلومات التى يقدمونها حول وضعيتنا بتصميم الخدع والمناورات وتزييهم بلباسنا وحملهم اسلحتنا وتكلمهم لغتنا ليخدمونا ويوهموننا بانهم اصدقاؤنا » راجع هذه المذكرة في :

H. Castries, **Les sources inédites de l'histoire du Maroc. Archives et Bibliothèques de France**, t. III, p. 79.

(29) L. Cardaillac, « Le passage des Morisques en Languedoc » in, **Annales du Midi**, t. 83, nº 103, 1977, p. 40.

حركية الاحداث السياسية بكل من الايالات المغربية واسبانيا (30)

وهل في هذا المناخ الديني والانساني وجب عزل أمر السلطان سليم الأول ، قبل وفاته بقليل ، عندما أمر بتحويل كل الكنائس الى جوامع ، ومنع ممارسة المسيحيين الكاثولكيين لشعائر دينهم والتهديد بالقتل لكل من يرفض اعتناق الدين الاسلامي ؟ (31)

اننا نعلم ان السلطان قد استقبل عددا من السفارات الجزائرية كان اهمها تلك التي ترأسها العالم أبو العباس بن أحمد بن قاضي (32) والتي احاط فيها السلطان علما بوضعية الايالات المغربية وصراعها مع اسبانيا الكاثوليكية والتي انزلت بالمجموعة الاسلامية الاندلسيه كثيرا من المحن لتجبرها بالقوة على اعتناق الدين المسيحي ، بعد ان قامت بتحويل كل الجوامع الى كنائس ، وكان يساعدها في ذلك محاكم دواوين التفتيش التي كانت تحرص باصرار على القضاء على الوجود الاخلاقي والحضاري للموريسكيين واليهود والبروتستانت ، في حين كان للمسيحيين باستانبول على العموم كنائسهم المحمية من طرف الانكشاريين وان كان كل فرد منهم حرا في ممارسة دينه ، وقد أثار هذا التسامح « اعجاب مختلف الزائرين الموضوعين لاستنابول خلال القرن السادس عشر » (33) ، وهي الظاهرة التي لا يمكن حدوثها في هذا الظرف ، باسبانيا (34)

وعلى ضوء ذلك ، فان نشاط الدولة العثمانية بالبحر الابيض المتوسط وتجاه المشكل الموريسكي ياخذ بعدا جديدا وأهمية خاصة ، لقد درمنا

---

(30) Ch. de la Véronne, « Relations entre le Maroc et la Turquie dans la seconde moitié du XVIe siècle et le début du XVIIe siècle (1554 - 1616), in, Revue de l'Occident Musulman et de la Méditerranée (R.O.M.M.) n°° 15-16. pp 391 - 401, Aix, 1973.

قارن أيضا لنفس المؤلفة الدراسة التالية :

« Menaces que font peser les Turcs sur le Maroc après la bataille de trois Rois » in, Atti Della Settimana Maghribina, pp. 183-188, Cagliari, 1970.

(31) Hammer, op.cit., t. IV, p. 364.

قارن أيضا : Albert Howe Lybyer, The Government of the Ottoman Empire in the time of Suleiman The Magnificient. p. 211, U.S.A. 1966

(32) راجع دراستنا : « أول رسالة من أهالي مدينة الجزائر الى السلطان سليم الاول سنة 1519 » في المجلة التاريخية المغربية ، عدد 6 ، ص116 — 120 ، تونس ، 1976.
ان تدخل المفتي جمالي لدى السلطان ، جعل هذا الاخير يعدل عن نياته العدائية.

(33) Mas, op.cit., t. 1, p. 133, et p. 155.

(34) المصدر نفسه ، ج2 ، ص 170 .

سياسة الدولة العثمانية تجاه الايالات المغربية في القرن السادس عشر (35) وسوف نركز هنا على نتائج تدخل العثمانيين لفائدة هؤلاء الموريسكيين البائسين

إنه انطلاقا من سنة 1519 عندما ربطت ولاية الجزائر بالامبراطورية العثمانية ، يمكننا أن نتحسس ، على ضوء الأحداث ، خلفية الموقف العثماني وغائيته بالنسبة لموقفه في القضية الموريسكية

ان القرن السادس عشر العثماني والأوروبي ، اذا ما قورن بالقرنين السابع والثامن عشر ، قد تميز ببروز شخصيات سياسية وعسكرية من النادر بروزها في قرن واحد بعينه ، وهي الشخصيات التي ساهمت على المحافظة على نوع من التوازن العالمي بين امبراطورتين حديثتي عهد ، فخورة كل منها بمعطياتها وبقدرتها ونخوتها للدفاع عن تفوقها ودينها

ان الموريسكيين الاندلسيين الذين يمثلون أقلية هامة في الشعب المغربي (36) والتي وصلت حسب تقديرات هيدو الى 500 شخص ، قد ساهموا الى جانب عروج في المعارك ضد الاسبان سنة 1516 (37) وقد تضاعف عددهم بشكل بارز اثناء ادارة خير الدين لولاية الجزائر (38) وهم بالاضافة الى معرفتهم الكاملة لميدان العدو ، اذ كانوا يتكلمون لغته فانهم يعتبرون أنفسهم ممثلي هذه الأقلية اليائسة والتي امتحنت وتعرضت الى مناورات اسبانيا الكاثوليكية المتعصبة للقضاء عليها بالاعدام حينا أو الحرق حينا آخر وكذلك محو اى اثر اسلامي للاندلس ان الدور الذى لعبته هذه الاقلية في ادارة خير الدين ، ما زال مجهولا ، وهو الدور الذى يترجم عن عمق قلقها وحقدها واصرارها لمساعدة اخوانهم بالاندلس ويكاد يكون مسلما به اليوم ، ان خير الدين كان يدرك جيدا الملف الاسباني وحيث يعتبر المشكل الموريسكي اهم قضية فيه ، ويرجع الفضل في ذلك الى هؤلاء اللاجئين الموريسكيين الذين أحاطوا بخير الدين واخلصوا له تماما

ان معرفة خير الدين بالملف الموريسكي بعد ذلك ، قد دفعه الى الاعتقاد بوجوب انشاء دولة قوية وموحدة بالمغرب ، والتى انطلاقا منها يكون باستطاعته

---

(35) راجع دراستنا : « الخلفية الدينية للصراع الاسباني — العثماني على الايالات المغربية في القرن السادس عشر » ...

(36) J.D. Latham, « Les Andalous en Afrique du Nord », in, E.I., t. 1, p. 511.

(37) Fray Diego de Haedo, Histoire des Rois d'Alger, traduit et annotée par H. D. Grammont, p. 26, Alger, 1881.

(38) ابو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص136 وص142، الجزائر، 1981.

استرجاع الاندلس وانقاذ الموريسكيين من ربقة الاسبان ومحاكم دواوين التفتيش (39) ونتيجة لذلك فان خير الدين بعد أن قضى على قلعة البينون الاسبانية في عرض البحر أمام مدينة الجزائر سنة 1529 استجاب لاستغاثات موريسكيي الاندلس ، مرسلا اليهم في نفس السنة « ستة وثلاثين باخرة استطاعت أن تنقذ اخوة الدين المساكين وقد ابحر عشرة الاف منهم في كل مرة بحيث انه خلال سبع رحلات متوالية انقذ سبعين الفا من عرب الاندلس » (40)

ان النجاح الذى حققه خير الدين قد اكسبه سمعة وهيبة لدى الجزائريين والموريسكيين على حد سواء أما السلطان سليمان القانوني الذى اتصل بلائحة من الموريسكيين (41) فقد سارع بارسال فرمان الى خير الدين يامره بالتحول الى استانبول ، للمشورة (42) ، وفى الحقيقة ، كان ثقل السياسة العثمانية فى الايالات المغربية ، يرتكز على خير الدين فى هذه الفترة، وعلى ضوء المقابلة التى تمت ، ادرك السلطان جيدا خليفة وأهداف السياسة الاسبانية في المغرب ووضع الموريسكيين الدقيق ووجوب العمل على تقويه الوجود العثماني في البحر الابيض المتوسط الغربي ، وهذا وفقا للاستراتيجية العسكرية التى يسعى خير الدين الى تحقيقها وتنفيذها ، وقد سلم السلطان الى خير الدين شخصيا « بتاريخ 6 ماى 1534 ، علما وصولجانا وسيفا ، كعلامة تشريفاتية ، مذكرا اياه أنه سلمه ذلك لفرض القيام بأعمال جليلة » (43)

واستجابة لهذه الرؤية الجديدة ، اتخذت عدة قرارات منها بناء 61 وحدة من وحدات الاسطول في القرن الذهبي باستانبول (44) « وإن مشاعر عطف السلطان سليمان « لشمال افريقيا » قد تقوت من جديد بفضل سياسته

(39) John B. Wolf, The Barbary Coast Algiers under the Turks. p. 12,

(40) قارن ايضا ، محمد عبد الله عنان ، نفس المصدر ، ص386 .
كاتب تشلبي ، تحفة الكبار فى اسفار البحار ، ص 40 ، استانبول ، 1911
راجع ايضا : Hammer, op.cit., t. V, pp. 241 - 242. وكذلك :
C. Bayṣun, « Moriskolar », in, Islam Ansiklopederi (I.A.), t. 8, pp. 428-429.

(41) Wolf, op.cit., p. 17.

(42) Enver Ziya Karal, « Barbaros Hayreddin Pasa », in, I. A., t. 2, pp. 311 - 315

(43) Ch. De Rotalier, Histoire d'Alger et de la piraterie des Turcs dans la Méditerranée à dater du seizième siècle, t. 1, p. 180, Paris, 1841.

(44) Enver Ziya Karal, op.cit., pp. 311 - 315.

الوفاقية مع فرنسا » (45) وعليه أصبحت سياسة سليمان القانوني متزنة حيال الايالات المغربية والموريسكيين وقد وجه هؤلاء سنة 1541 رسالة حظينا بالعثور عليها منذ سنوات وقد نشرناها بعد أن استخرجنا منها أهم المحاور والافكار التي احتوت عليها (46)

ومن جهة أخرى فان تقدم الامبراطورية العثمانية في اوروبا الغربية ، في هذا الظرف والتأثير الذي أحدثته على مصائر الامراء الغربيين ، قد أعطى أكثر من أي وقت مضى اشعاعا وهيبة لهذه الامبراطورية ومنحها وزنا سياسيا وعسكريا كبيرين كذلك كان التأثير السياسي والعسكري الذي احدثته الامبراطورية العثمانية على الدول المطلة على البحر الأبيض المتوسط ، بينا . هل نستغرب اذن مدى اهتمام المسؤولين العثمانيين للمشكل الموريسكي وهو الاهتمام الذي سيظهر على جميع المستويات كالتدخل المباشر وتقوية الوجود العثماني ، او ربط الصداقة والتعاون مع الملك فرنسوا الأول وفتح طرابلس الغرب والمهدية وجربة والقيام باتصالات مع مسؤولي المغرب الأقصى وتونس للتنسيق مع بعضهم بعضا في مواجهة عدو مشترك . وقد ساهم في هذا النشاط تبادل عدد من السفراء

ان تعيين قليج علي باشا ، بيلرباي على الجزائر سوف يعمل على تقديم العون والمساعدة للموريسكيين ويسمح بتبني صيغة جديدة للتدخل على الأرض الاسبانية نفسها وانه يحق لنا أن نؤكد بصورة خاصة ، على أهمية ولاية قليج علي باشا في الصراع بالبحر الأبيض المتوسط الغربي في ظرف كان الموريسكيون يعبرون منذ زمن عن قلقهم واستيائهم العام للاجراءات التي اتخذت ضدهم ، وكان ذلك وراء ثورتهم بغرناطة والتي خطط لها وهي الثورة التي هزت الحكومة المركزية الاسبانية وجعلتها تجند البلاد كلها للقضاء على الثورة وقد أرسل الموريسكيون أحدهم بارتال (Partal) من مدينة ناريا (Narilla) الى الجزائر مرتين لمقابلة قليج علي باشا (47) واحاطته علما بالوضعية الحقيقية العامة للموريسكيين ونوع الاعانات التي يحتاجون اليها ، ثم للتخطيط للقيام بنشاط موحد ومنسق (48) كما ارسلت

(45) Auguste Cour, L'établissement des dynasties des Chérifs au Maroc et leur rivalité avec les Turcs de la Régence d'Alger (1509-1830), p. 78, Paris, 1904.

(46) «رسالة من مسلمي غرناطة الى السلطان سليمان القانوني سنة 1541» ص 27 — 38 — اسفله

(47) De Thou, Histoire Universelle, t. VI, p. 80, cité in, Haedo, op. cit., p. 39
من ملاحظة للمحقق تواسمن ،

(48) Grammont, Histoire d'Alger sous la domination turque (1515 - 1830). p. 104, note n° 5, Paris, 1887.

الوفود والسفراء الى السلطان لطلب النجدة والأسلحة والذخيرة (49) اما بلاط مدريد ، فكان على علم تماما بعلاقات الموريسكيين بالعالم الاسلامي ، وان اغلب المؤرخين ومدوني الوقائع او القساوسة وحتى الشعراء ، فقد اتهموا الموريسكيين بارتباطهم بالاتراك العثمانيين (50) ، وهذا ما زاد في تخوفات فيليب الثاني ، خاصة بعد الشائعات التي كانت تروج بكثرة حول تهديد الأسطول العثماني وتدخله في الثورة الموريسكية بغرناطة (51).

اما الصدر الأعظم محمد صوقللي الذي عرف بورعه وتقواه ، والذي أحيط علما بمحن الموريسكيين عن طريق العديد من الرسائل التي وجهت الى الباب العالي ، فانه قد قرر انجادهم عند ما اتخذ اجراءات في منتهى الاهمية ، تمثل احداها في توجيه فرمان سلطاني الى بيلرباي الجزائر قليج علي باشا يطلب منه تقديم المساعدة الى الاقلية الموريسكية . أما الاجراء الثاني فقد تمثل في ارسال فرمان سلطاني الى الأقلية الموريسكية الأندلسية نفسها، يحيطها علما باتخاذ الاجراء الأول

ويبدو أن الصدر الأعظم كان يخطط للهجوم على اسبانيا لغرض مساعدة موريسكيي غرناطة الثائرين وانه اقترح على السلطان القيام بحملة على اسبانيا بدل قبرص (52) ان الفرمانين الموجهين وخاصة الذي وجه الى الموريسكيين ، يعدان هامين جدا لتقييم موقف الدولة العثمانية تجاه المسألة الموريسكية (53)

ففي الفرمان الأول الذي وجه الى بيلرباي الجزائر بتاريخ 16 افريل 1570 اظهر المسؤولون العثمانيون معرفتهم الجيدة والدقيقة ، لمسألة « أهالي الاندلس » (وهذه هي التعابير التي جاءت في الوثيقة نفسها) وبالمحن التي ألحقها بهم مضطهدوهم ، وقد طلبوا من بيلرباي الجزائر أن يقدم جميع المساعدات وبكل الوسائل الممكنة التي يراها صالحة ، وهذا في انتظار قدوم الأسطول العثماني اما الفرمان الثاني الذي وجه الى الشعب

---

(49) ليلى الصباغ ، « ثورة مسلمي غرناطة عام 976هـ او اواخر سنة 1568م ، والدولة العثمانية » في مجلة الاصالة ، عدد 27 ، ص163 ، الجزائر ، 1975 .
راجع أيضا : عزيز شوقي، مرآة تاريخ عثماني (مرآة التاريخ العثماني) ص184 — 185، استانبول ، 1876

(50) Mas, op.cit., t. I, p. 534.

(51) Braudel, La Méditerranée ... op.cit., t. II, p. 363.

(52) عبد العزيز محمد الشناوي ، الدولة العثمانية ، دولة اسلامية مفترى عليها ، ج 2 ص925 ، القاهرة ، 1980 . راجع أيضا :
John Lynch, Spain under the Habsburgs, p. 219, Oxford, 1965.

(53) Michel Lesure, Lépante. La crise de l'Empire ottoman, p. 59, Paris, 1972.

الأندلسي فقد اثـار كيف أن عدد الثوار بلغ العشرين الفـا وان مائة الف اخرى تنتظر السلاح والذخيرة (54) وأعلن ان الدولة العثمانية قد طلبت من بيلرباى الجزائر أن يوفر الأسلحة والذخيرة والمؤونة اليهم ، وان رجال الدولة العثمانية يعبرون عن أملهم في انتصار الاسلام « انه على ضوء أمر ى، الشريف الى بيلرباى الجزائر ، فيقوم هذا الاخير عـلى تقـديـم جميـع المساعدات والاعانات اليكم وذلك لما أظهر تموه من همة اسلامية وغيـرة

الدفاع على الدين المبين وعدم تركّكم له ، وهـذا على الرغم مـن الحروب والقتال مع الكفار اذلهم الله اذ أنكم أبديتم كل أنواع الاقدام والشجاعة ، وحين يكون النصر ميسرا لنا في ذلك الجانب،فان العلماء والصلحاء وساير اهل الاسلام سوف لن يتخلوا عن الدعاء لنا بذلك ، وان لا تتخلوا عن اعلامنا دائما باحوالكم واوضاعكم في تلك الجهة » (55)

وقد جاء في هذا الفرمان انه بعد فتح الدولة العثمانية لقبرص ، فان الأسطول العثماني سوف يتحول الى اسبانيا لمساعدة الموريسكيين (56)

هل نثير الشك بعد هذا حول نوايا الدولة العثمانية في المسألــة الموريسكيـة ، وهـو الموضـوع الذى اختلف المؤرخـون فيـه كثيـرا ؟

وقد راجت في هذا الظرف الشائعات ان « شخصية هامة » من الباب العالي قد وصلت الى الجزائر ليسعى الى احضار المؤونة والذخيرة وتمويل الاسطول العثماني الذى سيقدم في الربيع لمساعدة موريسكيي غرناطة » (57) وعلى ضوء تدخل السلطان العثماني ، سارع قليج علي باشا الى احضار ستة سفن كانت قد رست قرب المرية محملة بالذخيرة والأسلحة والمدد

---

(54) انه من المفيد جدا أن نلاحظ ان هذا الرقم قد قدمه السفير الفرنسي فـوركـوفـو (Fourquevaux) راجـع :
Braudel, La Méditerranée ... op.cit., t. II, p. 362 :
هذا دليل آخر على ان الدولة العثمانية ، بفضل عدد كبير من مخبريها ، كانت تتحصـل على شبكة من المعلومات الصحيحة من خصومها .

(55) أرشيف رئاسه الوزراء باستانبول . مهمة دفترى رقم 9 . فرمان بتاريخ 10 ذى القعـدة 977هـ/16 افريل 1570 ، راجع النص الكامل الذى قمنا بترجمته من التركية ، اسفـل هذه الدراسة ص. 24 — 25
قارن ايضا الدراسـه التالية :
Andrew C. Hess, «The Moriscos An Ottoman Fifth Column in Sixteenth Century Spain », in, The American Historical Review, Vol. LXXXIV, n° 1, October 1968, p. 14.

(56) راجع نص الفرمان كاملا اسفله ، ص 23 — 24

(57) Ch. de la Véronne, Les Sources inédites de l'histoire du Maroc. Archives et Bibliothèques d'Espagne, t. II. p. 153, Paris, 1961.

على أن « 32 سفينة أخرى كانت تقل جنودا قد تشتت بسبب عاصفة هوجاء ، في نفس اللحظة التي كانت ستقدم للثوار مساعدة هامة ، وفي شهر اكتوبر ، نجحت الجزائر الى تقديم 400 بندقية وعددا من الذخائر ، فضلا عن مئات من الانكشاريين القدماء ليكونوا أعوانا وقوادا للموريسكيين وفي اوائل سنة 1570 تمت ارسالية اخرى بالمدد والجنود » (58)

شواهد كثيرة في هذه الفترة تؤكد أن الثوار قد تلقوا مددا وأسلحة وبعض مئات من المتطوعين من الجزائر . اما سفير فرنسا فوركوفو فقد أكد في رسالة الى كاترين دومادیسیس (C. De Medecis) بتاريخ 6 جانفي 1569 انه « يوجد ما بين 400 و 500 تركيا صحبة (امير غرناطة) وقد أرسلوا من الجزائر ، وحتى يوحي (أمير غرناطة) بأن عددهم أكثر بكثير من ذلك ، فقد عمل على ارتداء عدد من العرب البواسل ، الزى التركي » (59)
كما أن المدد قد وصلهم من ملك فاس وحيث تمكن بفضل ثمانية عشر باخرة خفيفة نقل 400 عربيا أو تركيا وكذلك الذخيرة » (60)

وقد أكد بعض المؤرخين أيضا ان قليج على باشا كان يخطط لقيادة الأسطول الجزائرى شخصيا ، الا أنه تخلى عن ذلك عندما علم أن دون جوان دتريش (D. Juan D'Autriche) قد كلف بالقضاء على ثورة البشرات بفضل جيش وتعزيزات ضخمه وضعت تحت تصرفه (61) اما نائب الملك بفالانس فقد سعى الى توجيه فرنسسكو ڤاسبارو كورصو (F. Gasparo Corso) كمبعوث عنه الى الجزائر واقناع البيلرباى بوقف المدد والمساعدة التي يقدمها الى الموريسكيين والعمل على أن يثنيه عن ارسال الذخائر والأسلحة لتأييد الثورة (62) .

وبعد القضاء على الثورة تلاحقت الاحداث تباعا وبسرعة استيلاء قليج على باشا على تونس ، انتصار الحلف المقدس في ليبنت (Lépante) اعادة استرجاع الاستيلاء على تونس من طرف دون جوان دتريش ثم استرجاعنا نهائيا من طرف العثمانيين في السنة الموالية على ان كل هذه الأحداث لا يمكن عزلها تماما عن التأثير المباشر للمسالة الموريسكية وموقف الدولة العثمانية سوف يترجم عنه هذا النشاط. الحثيث لدى ملك

---

(58) [illegible], op.cit., p. 139. • من ملاحظة للمحقق قرامن •
(59) Les Sources inédites ... op.cit., Archives et Bibliothèques de France, t. I, p. 294.
(60) المصدر نفسه ، ص 299 ، رسالة بتاريخ 29 جوان 1570
(61) Grammont, op.cit., p. 105.
(62) Les Sources ... op.cit., Archives et Bibliothèques de France, t. II, p. 160.

المغرب الاقصى لتنسيق عملها للدفاع عن السواحل ومساعدة اللاجئين الموريسكيين وكذلك تبادل السفراء المتواصل بين البلدين (63) والذى يترجم للسعى الى تنسيق المجهودات ، وهذا على الرغم من خوف واحتراز كل منهما للاخر ، ومع ذلك فان القضية الموريسكية تبقى المسألة التى اتفق عليها الطرفان ، ذلك أن العثمانيين ما فتئوا يطالبون بمساعدة الموريسكيين ، كما تؤكده تلك الرسالة التى وجهها السلطان العثمانى الى ملك فاس بتاريخ شهر سبتمبر 1573 (64)

على ان الاكتشاف سنة 1580 باشبيلية بوجود مؤامرة موريسكية تهدف الى المساعدة على احتلال اسبانيا انطلاقا من السواحل المغربية ، (65) يؤكد ولا شك ظاهرة التنسيق المشترك لكل ما يتعلق بالمسألة الموريسكية والتى كان يتم بالتعاون مع الأمبراطورية العثمانية

ان العوامل التى اثرت على مصير الموريسكيين كانت متعددة وانه من المفيد ذكر عدد كبير من الوسطاء الغير مسلمين فرنسيين او غيرهم كانوا على اتصال منذ اواخر القرن السادس عشر بالموريسكيين ، ذلك ان التدخل الفرنسي لدى الموريسكيين كان حقيقة يعلمها الاسبان (66) ، وقد قام الجاسوس المزدوج باسكال دوسانت استاف (Pascal de Saint-Estève) بأمر من الملك هنرى الرابع ودوك دولافورس (Duc de la Force) سنة 1599 بالاتصال بالموريسكيين » (67)

لقد استمر العثمانيون ، خلال القرن السادس عشر كله ، على استقبال سفراء ومبعوثي الموريسكيين والذين كلفوا بطلب النجدة والمساعدة وانطلاقا من سنة « 1589 ثم في اوائل سنة 1591 ، بدأ احضار 300 سفينة

---

(63) راجع المجموعة كاملة لـ : Sources inédites ... op.cit. ، المواد القسطنطينية والموريسكون وحيث نلاحظ تعدد الزيارات التى تمت بين الطرفين .
راجع ايضا : La Véronne ... op.cit. وكذلك Cour, op.cit. ثم ابو الحسن على ابن محمد التمقروتى ، النفحة المسكية فى السفارة التركية (1589 – 1591) ، حقق هذا هنرى وكاسترى ، باريس ، 1929 .

(64) أرشيف رئاسة الوزراء باستانبول ، مهمة دفترى رقم 23 ، ص293 ، راجع هذه الرسالة التى كنا قد نشرناها فى دراستنا «الخلفية ... نفس المصدر ، ص 07 – 113 .»

(65) Kamen, op.cit., p. 124.

(66) A. Gutierrez, La France et ses Français dans la littérature espagnole. Un aspect de la Zénophobie en Espagne (1598 - 1665), p. 14, Saint-Etienne, 1971.

(67) المصدر نفسه ، ص55 .

بالقسطنطينية وأشيع أنها لغرض مساعدة موريسكى اسبانيا الثائرين » (68)

ومن خلال هذه الاستراتيجية السياسية والعسكرية ، فان الايالات المغربية قد خدمت بشكل جذرى الامبراطورية العثمانية فى كل ما يتعلق بالموضوع الموريسكى خلال القرن السادس عشر ذلك أنه قبيل الطرد النهائى للموريسكيين ، فان الايالات المغربية اصبحت أقل خطرا على اسبانيا نتيجة اختفاء الظاهرة الموريسكية (69)

* * *

اما موقف الدولة العثمانية من عملية الطرد النهائي للموريسكيين سنة 1609 ، فقد كنا درسناه بفضل اكتشاف رسالة هامة من السلطان العثمانى احمد الاول الى دوج البندقية سنة 1614 وقد بينا من خلالها المساعى السياسية للامبراطورية العثمانية لدى معظم الدول الأوروبية يومئذ ، لمساعدة الموريسكيين وتقديم كل عون وتمكينهم من الالتحاق بأرض الدولة العثمانية فى أحسن ظروف الامن والسلم والطمأنينة (70)

---

(68) Braudel, La Méditerranée ... op.cit., t. II, p. 480 et pp. 502 - 203.

(69) Braudel, « Les Espagnols en Algérie » in, Histoire et Historiens de l'Algérie, p. 255, Paris, 1931.

(70) « رسالة من السلطان العثمانى احمد الاول الى دوج البندقية حول الموريسكيين » أسفله ص 39 ـ 48 .

اندلس اهالیسنه حکم که سدء سعادت دستگاهمه عرض حال کوندروب کفار خاکسار ضلالت شمار اسلاملرده کوزی اولوب وعربی تکلم ایتمکی یساق ایدوب وخاتونلره شرع شریفه مخالف بعض تکلیف ایلیوب ظلم وتعدیلرینك اولدوغی وحالا یکرمی بیك مقداری ادم اولوب لکن سلاحسوز یوزبیك نفر مقرردر جزایردن برمقدار سلاح کلمك ایله قوت قلب حاصل اولوب کفار بدکرداره خیلی انکسار ویرلدوکن بلدرمش سن الحمدلله اهل اسلام دایما کفار ضلالت اثار اوزرینه غالب ومنصور اولمقدن خالی اولمیه ایله اولسه عرض حالکزده دخی هرنه‌که تحریر وتقریر اولنمش ایسه مفصلا بایهء سریر سعادت مصیرمه عرض اولنوب جمله احوالکزه علم شریف عالم شمول بادشاهانم محیط وشامل اولمغله دایما انظار فرصت آثارم اول جانبه منهدف یومتعطفدر لکن شمدیکیحالده ممالك محروسم قربنده واقع اولوب اجداد عظامم اناراه براهنهم زمانلرندنبرو عهد وامان اوزرء بولان قبرس نام جزیره نك کفره سی نقض عهد ایدوب دریابوزنده خلوص نیت وصفای طویت ایله طواف بیت الحرم وزیارت تربت حضرت سید الانام علیه افضل الصلوة والسلامة توجه ایلن اهل اسلامه وسایر تجار طایفه سنه کللی تعدیلری اولغله عصیان وطغیانرلری مقرر اولمغین حق سبحانه وتعالی علوعنایتنه توکل واعتماد ومفخر موجودات صلواةاه علیه والسلامك معجزات کثیرة البرکاتنه توسل واستناد ایلیوب وسایر صحابه نی کزین رضوان‌اه تعالی علیهم اجمعینك رواح بزرکوارلرندن استمداد اولونوب اول بهار خجسته اثارده جزیرهٔ مزبوره نك فتح وتسخیری خصوصنه نیت والاهمت بادشاهانم مقرراولمشدرحق وجل وعلا حضرتلریدرکاهندن استدعا اولنورکه جزیرهٔ مزبوره سهولتله فتح وتسخیر اولنمغله قبضهٔ تصرفمه میسر اولوب مقدما اولدوغی کبی اهل اسلام مملوقلنوب سایر شرع شریف اجرا اولنمغله زوار وتجار وسایری‌امین وسالم واروب‌کلوب دوام دولت وثبات مجد ورفعتم ادعیه‌سنه اشتغالده اولالر خصوصی مزبور منوال مشهور اوزره اولمغین احضار اولنان مراکب کواکب شمار جزیرهٔ مزبوره یه عساکر نصرت اثار کچور مکجون برمقدار تاخیر کورنمکین انشاالله تعالی اول مهم عنایت حقله برطرف اولدقده دونانمهٔ همایون ظفر مقرونم اول جانبه سوق اولنماق نیت اولنوب حالا اول جانبه حاضر وناظر اولوب اکر عسکر ظفر رهبر کوندرلکلهٔدر واکر سلاح سایر یراق ویرلکلیه درکلی معاونت ومظاهرت ایلیه سن دیو جزایر بکلر بکیسنه مؤکد امرهمایونم کوندرلمشدر

انشاه مشاراليه بكلربكىدخى بووبده سهـزه امرشريفم اوزره هروجهلـه معاونت ومظاهرات ايـلر سزدخى جبلتكـزده مركـوز اولان اثارهمت اسلام موجبنجه غيرت دين مبينى الدن قوميوب كفار مذلت اثارايله جنك وجدال وحرب وقتـال وانـواع اقـدام واصناف اهتمامكز ظهـوره كتوررسز واول طرفده .... ظفر وهبرم واقع ونصرت ميسر اوللق ايجون علما وصلحا وساير اهل اسلامه ليل ونهار خير دعـادن خالى اولميوب ودايما اول جـانبك احوال واوضاعن اعلام ايتمكدن خالى اولميه سز

خليل جاوشه ويرلدى فى 10 ذى القعده سنه 977

تعـريـب الـوثيقـــة

حكـم الى أهـالى الاندلس

لقد أرسلتم الى سدة سعادتنا عرض حـالكم وكيف ان الكفـار الضـالين ذوى الشعارات المضللة يتآمرون على المسلمين ويمنعونهم من التخاطب باللغة العربيـة ويكلفون زوجاتهم بمـا يخـالف الشرع الحنيف ، مقترفيـن الظلـم والاعتداء تجاههم ، ويوجد الآن عشرون الفا من الرجال غير ان عدد الاشخاص الذين لا سلاح لهم وصل الى مائة الف كما هو مقرر وثابت ، وفى صورة وصول هذا المقدار من السلاح من الجزائر ، فان ذلك من شأنه ان يقوى من عزيمة الناس وقد اخبرتمونا انكم انزلتم بالكفار الملاعين هزائم عديدة والحمد الله الذى يجعل اهل الاسلام ينتصرون دوما على الكفار الضالين وكل ما حدث ، ذكرتموه وقررتموه فى عرض حالكم مفصلا ، قد وصل الى علم سيادتنا ، وأن كل ما يتعلق بكم قد بلغ الى شريف وشمول علم سلطاننا الذى يحرص دوما على اظهار الاهتمام والعطف لجانبكم

الا أنه في هذا الظرف بالذات وبالقرب من ممـالكى تقع جزيرة قبـرص والتى يرجع الفضل الى اجدادى العظام منذ زمن بعيد لعقد معاهدة أمان معها ، غير أن الكفـار ، أصحاب الجـزيرة نقضوا ذلك العهـد باعتدائهم على كل أهالى الاسلام وسائـر طوائف التجار عندمـا تخلص نيتهـم للتحول والطواف

ببيت الحرام وزيارة قبر حضرة الرسول سيد الانام عليه افضل الصلاة والسلام ، مقرين بذلك العصيان والطغيان

قد اعتمدنا وتوكلنا على عناية الله ، واستنجدنا وتوسلنا بمفخرة الموجودات ، ذى البركة العميمة صلوات الله وسلامه عليه ، وكذلك استمنا بأصحابه البررة الشرفاء رضوان الله عليهم أجمعين وفى الربيع السعيد نتيجة لتلك الآثار عزم سلطانى وقرر الاستيلاء وفتح الجزيرة المذكورة ، اذ حق جلالته السامية بين فى ذلك واذا تيسر فتح الجزيرة المذكورة بسهولة وأصبحت فى قبضتى وتحت تصرفى وصار اهالى الاسلام كما هو الحال فى الماضى يقومون بتكاليف الشرع الحنيف وعموم الزائرين والتجار اصبحوا آمنين وسالمين ، عندها يقوم الاهالى بالدعاء لدوام الدولة وثبات مجدها وكذلك الدعاء لرفعتى وانه لتحقيق ذلك ، هيانا عددا من السفن الضخمة والعساكر المنصورة ووجهناها الى الجزيرة المذكورة بدون أى تأخير ، وان شاء الله يكون فى عزمنا ونيتنا توجيه اسطولى المظفر الى تلك الجهة ، اذ ذلك من الامور المهمة الاساسية ، وانا الآن فى حالة استعداد وتحضير وقد وجهت أمرا همايونيا مؤكدا الى بيلرباى الجزائر ليرسل اليكم كل المساعدات سواء كانت بالجيوش المظفرة أو بارسال سائر الاسلحة والمؤونة وانه على ضوء أمرى الشريف الى بيلرباى الجزائر ، فسيقوم هذا الاخير على تقديم جميع المساعدات والاعانات اليكم وذلك لما أظهرتموه من همة اسلامية وغيرة فى الدفاع على الدين المبين وعدم تركه له ، وهذا على الرغم من الحروب والقتال مع الكفار اذلهم الله اذ انكم أبديتم كل أنواع الاقدام والشجاعة وحتى يكون النصر ميسرا لنا فى ذلك الجانب فأن العلماء والصلحاء وساير اهل الاسلام سوف لن يتخلوا عن الدعاء لنا بذلك وان لا تبخلوا عن اعلامنا دائما باحوالكم وأوضاعكم فى تلك الجهة

سلم هذا الامر الى الشاوش خليل فى 10 ذى القعدة 977

رسالة من مسلمي غرناطة إلى السلطان سليمان القانوني

سنة 1541

عرف النصف الاول من القرن السادس عشر احداثا سياسة هامة حددت مستقبل المغرب السياسي ، وشكلت علاقاته مع كل من الامبراطوريه العثمانية والدول الاوروبية فيما بعد / وقد ساهمت الاحداث الداخلية في اسبانيا، في هاته الفترة ، بقسم كبير في بلورة هذه الاحداث ، ذلك انه بعد سقوط غرناطة سنة 1492 اتبعت اسبانيا المسيحية تجاه مسلمي الاندلس سياسة تهدف للقضاء تدريجيا وبصورة جذرية على كل مظاهر الاسلام ٠ ان نخوة النصر التي اجتاحت اسبانيا قد الهبت العوطف وطغت على منطق العقل ، منطق جديد احاطه رجال الكنيسة بقدسية سماويه تحكمت في كل القرارات التي اتخذها رجال الدولة السياسيين . واصبحت اسبانيا تؤمن بان عليها واجب تطهير ارضها من المسلمين والاسلام والتي اصبحت تخشى منه ومن شبحه (1) ، خصوصا بعد نجاح التوسع العثماني السريع في اوروبا وافريقيا وآسيا

اندفعت اسبانيا في محاولة لتصفية المسلمين فارضة اقسى الاجراءات عليهم وتنصيرهم بالجملة خلال عشر سنين (2) وقد اعترف ملوك اسبانيا خلال القرن السادس عشر بحتمية الاستمرار في تطبيق هذا القانون ، وبذلك خيرت الاقلية الاسلامية الاندلسية التي عرفت شتى ظروف التتبع والملاحقة عن طريق ديوان التحقيق بين التنصير او الرق مدى الحياة (3) ، وصودرت املاكهم وحرم عليهم التكلم باللغة العربية ، وارتداء الالبسة الوطنية ، والتردد الى الحمامات ، وفتح ابواب منازلهم ايام الحفلات والجمعة والسبت (4) واقامة الشعائر الدينية وعدم التسمية باسماء عربية ، كما حولت جميع المساجد الى كنائس (5) ، ومنع المسلمين من حمل السلاح كما فرض عليهم العيش في احياء خاصة وارتداء البسة معينة وان يحملوا اشارة زرقاء على القبعة اذا ما

---

(1) John Lynch, *Spain under the Habsburgs*, p. 205, 2e édition, London, 1965.

(2) P. Chaunu, *L'Espagne de Charles Quint*, p. 37, Paris, 1973.

(3) Tulio Halperin Donghi, « Recouvrements de civilisations : les morisques du royaume de Valence au XVIe siècle », p. 169, in, *Annales E.S.C*, 1956.

يذكر انه بعد الحرب ، امتلات بيوت الطبقات البورجوازية بعدد من العبيد الذين اسروا في غرناطة

(4) محمد عبد الله عنان ، نهاية الاندلس وتاريخ العرب المتنصرين ، ص 354 _ 355 ، الطبعة الثالثة ، القاهرة ، 1966

(5) المصدر نفسه ، ص 351

بقوا على دينهم ، كما حرم عليهم بيع الحرير والذهب والفضة والاحجار الكريمة، وامروا ان يسجدوا فى الشوارع متى مر كبير الاحبار (6) وسلطت عليهم اقصى انواع العقوبات اذا لوحظ عليهم بعض الولاء الى ماضيهم أو التعلق بدينهم في ابسط مظاهره وعاداته. على ان تشكيلهم وحدة اجتماعية وسيطرتهم على الاقتصاد بفضل نشاطهم وذكائهم وخبرتهم فى تصريف شؤون التجارة و زراعة وازدهارها على ايديهم (7) قد اثار نجاحهم هذا حقد الشعب عليهم الى اتهمهم بالتآمر ضد أمن الدولة خصوصا وهم « الحلفاء الطبيعيون لإخوانهم قراصنة « شمال افريقيا » (8) كما كانوا يعتبرونهم آنذاك

ومن الطبيعي فى مثل هذه الظروف ان يلتجىء الموريسكيون الى الثورات والانتفاضات في اغلب المدن التى بها اقلية اسلامية وخاصة فى غرناطة وبلنسية وقد اقمعت تلك الثورات بدون رحمة ولا شفقة ، واتخذت وسيلة لتعميق الكره والحقد على هذه الطائفة ، ومن جهة اخرى كان من الطبيعي ان يلتجىء الموريسكيون الى الملوك المسلمين في المشرق والمغرب لاستنجادهم وان تتكرر دعواتهم ووفودهم ورسائلهم اليهم للعمل على انقاذهم مما يعانونه من الظلم وخاصة من رجال الكنيسة وديوان التحقيق الذى عاث فسادا واحل لنفسه كل انواع العقوبات وتسليطها عليهم

وقد ارسل اهل غرناطة فى منتصف سنة 1477 سفارة الى استانبول ملفتين نظر السلطان العثمانى محمد الفاتح الى حالة المسلمين بالاندلس ، طالبين تدخله لانقاذهم (9) ، كذلك السفارة التى وصلت الى سلطان مصر الملك الاشرف فى اواخر القرن الخامس عشر مستنجدة اياه فى التدخل لانقاذهم من الملوك النصارى ، وقد بعث الملك الاشرف بوفود الى البابا وملوك النصرانية يذكرهم بان النصارى الذين هم تحت حمايته يتمتعون بكل الحريات ، فى حين ان ابناء دينه فى مدن اسبانيا يعانون اشد انواع الظلم ، وقد هدد باتباع سياسة التنكيل والقصاص تجاه رعاياه المسيحيين اذا لم

---

(6) المصدر نفسه ، ص 353 ـ 354

(7) Lynch, *op.cit.*, p. 211.

راجع أيضا :

F. Braudel, *La Méditerranée et le monde méditerranéen,* T. II, p. 129, 2ᵉ édition, Paris, 1966.

(8) Joseph Pérez, *L'Espagne du XVIᵉ siècle,* p. 108, Paris, 1973.

(9) Aziz Samih Ilter, *Şimali Afrikada-Türkler,* t. I, p. 52, Istanbul, 1937. (الاتراك فى شمال افريقيا)

يكف ملك قشتالة واراقون وغرناطة عن هذا الاعتداء وترحيل المسلمين عن اراضيهم وعدم التعرض لهم ورد ما اخذ من اراضيهم (10)

أما السلطان بايزيد الثاني فقد اتصل بقصيدة من احد المورسكيين يصور له فيها ماساة المسلمين ويستنجده لنصرتهم وانقاذهم (11)

اما نداءاتهم لملوك المغرب فقد تعددت مع مرور الايام غير ان الاوضاع الداخلية التي كان عليها المغرب وخضوع بني وطاس لاسبانيا وعقد معاهدة 1538 معهم وازدياد النفوذ الاسباني ـ البرتغالي على السواحل المغربية قد جعل من المستحيل القيام برد فعل حازم وفعال

على ان النجاح السريع الذي عرفته الامبراطورية العثمانية في كل من اوروبا وافريقيا ومدى الانتصارات الحربية التي حققها السلطان سليم وسليمان القانوني على الجيوش الاوروبية الحليفة آنذاك ، وسقوط عدد من العواصم الاوروبية ، قد اعطي ابعادا اخرى لهذا الصراع الذي واجهته الامبراطوريتان العثمانية والاسبانية والذي اتخذ شكل محاربة دين كل منهما للآخر على ان الانتصارات التي حققها العثمانيون والاهمية التي اصبحت عليها استانبول بعد الفتح ، قد شجع عددا من المهاجرين المسلمين واليهود على الاستقرار بالعاصمة العثمانية (12)

كان المورسكيون يتتبعون باهتمام مدى النجاح الذي حققه العثمانيون وكيف دانت لهم كل من سوريا ومصر ، وخاصة الجزائر التي اصبحت حصنا منيعا يلتجيء اليه المهاجرون الاندلسيون. ان وجود خير الدين بيلرباي الجزائر في العقد الثالث والرابع من القرن السادس عشر ومدى النجاح الذي حققه في ملاحقة الاسبان بالولاية ثم تدميره حصن البينون (Penon) سنة 1529 بالجزائر وتشجيعه حركة انقاذ مسلمي الاندلس قد جعل الاسبانيين يصرون على ملاحقة المسلمين اينما كانوا ، وتشديد الحملات عليهم واقامة القلاع الحصينة على ارض افريقيا الشمالية ، ومراقبة الحركة البحرية العثمانية ، وقطع الطريق للمحاولات المتكررة التي ما فتيء البحارة المغاربة يقومون بها بنجاح لانقاذ المورسكيين من الارض الاسبانية ، كما كان هؤلاء يتصلون سرا برجال البحر المسلمين ، ويمدونهم سرا بالمعلومات اللازمة للقيام بهجماتهم بنجاح (13)

وقد اظهر قادة اسبانيا خوفهم من اتحاد كلمة المورسكيين مع العثمانيين ،

---

(10) ابن اياس في تاريخ مصر ، ج 3 ، ص 246 ، مذكور في عنان نفس المصدر ص . 221 .

(11) المقرى ، ازهار الرياض في اخبار عياض ، ج 1 ، ص 109 ـ 115 القاهرة ، 1939

(12) W.E.D. Allen, *Problems of Turkish power in the sixteenth century*, p. 12, London, 1963.

(13) محمد خير فارس ، تاريخ الجزائر الحديث ، من الفتح العثماني حتى الاحتلال الفرنسي ، ص 17 ، دمشق ، 1969

وكان ذلك في أواخر شهر اكتوبر 1541 . على أن نتيجة هاته الحملة كانت بعيدة المدى وذات نتائج محسوسة حيث أصبحت الجزائر «كالعروس تختال في حليها وحليها من رخاء الأسعار، وأمان الأقطار ولم يبق لهم عدو يخافون منه ، وشاعت هذه القضية في مشارق الارض ومغاربها ، وبقي رعب المسلمين في قلوب الكفار مدة طويلة » (26) .

وقد ترددت انباء هاته الهزيمة في اسبانيا وكان وقعها شديدا على القادة ورجال الدين ، الا ان صداها لدى الموريسكيين كان مؤثرا وبالغا حيث جعلتهم يتطلعون الى النجدة من السلطان العثماني : وبالفعل ففي اقل من شهر فقط من هزيمة شارل الخامس امام الجزائريين بعث مسلمو الاندلس برسالة الى السلطان سليمان القانوني ، وعلى الرغم من تعدد رسائل الموريسكيين الى السلاطين العثمانيين، حسب مختلف الروايات التركية والعربية والاوروبية ، الا انه لاول مرة نعثر على نص من هذا القبيل ، ويسرنا ان نقدمه اليوم الى الباحثين .

* * *

لا يوفر لنا هذا النص الاسم أو الاسماء التي قامت بتحرير هاته الرسالة ، ويفسر ذلك بخشية وقوعها في يد السلطة الاسبانية التي كانت تحرص دوما على بث العيون والجواسيس للعثور على مثل هذه الرسائل والمعلومات ، وانها لتكشف عن معلومات ذات اهمية تاريخية ، كعدد الموريسكيين الموجودين بالاندلس ، واعطاء صورة حية مؤلمة لما يلقونه من السلطة الاسبانية المسيحية آنذاك ، ومدى الحيرة التي تمكنت منهم ، ثم التاكيد على نشاط خير الدين وما قام به لانقاذهم ، ومطالبة السلطان سليمان القانوني باعادة تعيينه بيلرباي الجزائر لانه الشخصية الوحيدة القادرة على انقاذهم من الهجومات الاسبانية .

فبخصوص عدد الموريسكيين بالاندلس تضاربت الاحصائيات تضاربا كبيرا خلال القرن السادس عشر وبالنسبة للمدن الكبرى كغرناطة آخر معقل للمسلمين وبلنسية وقشتيلة واراقون وغيرها ، وقد جاء في رسالتنا هاته ما يلي : « ان عبيدك الفقرا (كذا) الغربا (كذا) المنقطعين بجزيرة الاندلس وجملة عدتهم ثلاثمائة الف واربعة وستون الف منهم من رسابهم بغرناطة خمسون وغيرها بجزيرة الاندلس والباقي من عامة المسلمين » (27) يتبين لنا ان ذكر هذا الرقم لا يدل قطعا على اعطاء رقم اعتباطي اجمالي، بل ان ذكر الاربعة آلاف بعد الستين الف توحي بمدى حرص محرر الرسالة وبلا شك اطلاعه على

---

(26) سليم بابا عمر ، « الزهرة النيرة فيما جرى في الجزائر حين غارت عليها جنود الكفرة ، ص 19 ، المنشورة في : **مجلة تاريخ وحضارة المغرب** ، عدد 3 ، الجزائر ، 1967

27) راجع نص هاته الرسالة في آخر هاته الدراسة ، ص 43 46

عدد المورسكيين ، على أننا اذا أخذنا بعين الاعتبار احصائية سكان آسبانيا البالغ عددهم ستة ملايين (28) سنة (1541) ، وهى السنة التى حررت فيها رسالتنا لا نستغرب الرقم الذى قدمته هاته الوثيقة ، ومما يساعد على تقريب

هذا العدد ما قدمه المؤرخ محمد عبد الله عنان من ان سكان غرناطة وحدها بلغ 400 ألف (29) فى اوائل القرن السادس عشر والمؤرخ شونو (Chaunu) 500 الف (30) وانطونيو بلستيرو (A. Pallestros) 700 الف (31)

ومن جهة اخرى يذكر المؤرخ هنرى لابير (H. Lepeyre) ان المسلمين القاطنين سنة 1609 باسبانيا بلغ 296،000 اى حوالى 300 الف (32) وان الذين غادروا اسبانيا بلغ عددهم 275 الف. ولا بد ان نأخذ بالاعتبار الهجرات المتكررة من اسبانيا الى المغرب لنلمس تاثير ذلك على عدد السكان خلال 68 سنة الفاصلة بين هذين التاريخين يتبين لنا اذن ان رقم 364 الف الذى قدمته هاته الوثيقة يمكن الاعتماد عليه ، كما انه يندرج ضمن عديد الاحصائيات المتضاربة التى نملكها ، ولا شك انه اليوم اقربها الى الصواب والواقع

- ترسيم الوثيقة بعد ذلك صورة مؤلمة وحية لما قاساه المورسكيون فى عهد محاكم التحقيق والقرارات الجائرة التى سلطت عليهم ، ولا ادل على ذلك من قراءة نص الرسالة نفسه ليعكس لنا هذا النداء الاليم والمفجع الذى أصطبغت به الكتابات النادرة من الجانب العربي والتى وصلت الينا عن هذا الموضوع وقد تعددت منهم نداءات النجدة للملوك المغرب الاقصى، الا ان التحديات والحملات التى ما فتئت السفن الاسبانية والبرتغالية تشنها على الساحل المغربى لم تدع مجالا لاتخاذ موقف اكثر فعالية ونجاعة فى نظر المورسكيين ، على ان ذلك لم يمنع المهاجرين الاندلسيين المرابطين على السواحل المغربية من العمل على نجدة اخوانهم الاندلسيين

على ان الذى يلفت انتباهنا فى هاته الرسالة هو اطلاع المورسكيين الدقيق على احداث البحر الابيض المتوسط وتتبعهم لما يجرى فى المنطقة من احداث وحروب ونتائج وسرعة وصول الاخبار اليهم ، اذ بعد اقل من شهر لهزيمة شارل الخامس ، وعلى الرغم من تحويل بقايا جيشه الى ايطاليا بدل اسبانيا ، وصل الى علم المورسكيين خبر فداحة هزيمة عدوهم شارل الخامس امام الجزائريين ، واعتبروا ذلك نصرا من عند الله ، وقوى املهم ، وهذا ما يفسر تلقائيا تحريرهم هاته الرسالة الى السلطان سليمان القانونى

---

(28) P. Chaunu, *op.cit.*, t. I, p. 90.

(29) عنان ، نفس المصدر ، ص 232

(30) P. Chaunu, *op.cit.*, t. I, p. 165.

(31) *Ibid.*

(32) Jean Pignon, « Une géographie de l'Espagne morisque », p. 73, in, *Etudes sur les moriscos andalous en Tunisie*, Madrid-Tunis, 1973.

واستنجادهم به وتذكيره ما قام به خير الدين الذي انجدهم عند ما كان بيلربأي الجزائر

ان هزيمة شارل الخامس أمام الجزائريين قد أضفت على هاته المدينة مغزى كبيرا ورمزا للجهاد والدفاع عن المسلمين باعتبارها : « سياج لاهل الاسلام وعذابا لاهل الكفر والطغيان واصبحت القلوب المنكسرة بها عزيزة والرعية المؤتلفة بها مؤتلفة اليفة ... » (33).

اعتبر محررو هاته الرسالة ان المدد المرسل الى الجزائر هو تعزيز لشوكة المسلمين ولذا طالبوا السلطان باعادة تعيين خير الدين باشا على الجزائر ليعمل من جديد على صد العدوان الاسباني ، وانقاذ مسلمي الاندلس، وهذا ما يؤكد مدى السمعة والشعبية التي كان يتمتع بها خير الدين في الربع الثاني من القرن السادس عشر

تساهم هاته الوثيقة بما وفرته من معلومات ذات اهمية تاريخية على القاء اضواء جديدة على قضية المورسكيين (34) هاته القضية التي لا نعلم عنها الا ما نقلته الينا الوثائق الاسبانية المشبعة بروح التحزب الديني والكره والحقد على المسلمين ، اما الوثائق العربية او التركية فهي ضنينة جدا ولا تستجيب حقا لتساؤلات المؤرخ العديدة

نص الرسالة (35)

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على سيدنا محمد النبي الكريم وعلى اله وصحبه يقبل مواطي الاقدام الشريفة التي ثراها اذا مر بالعيون الرمدة أبراها ، ورحاب الاكف الكريمة اللتي (كذا) عطاها (كذا) ، اذا مر بالارض المحلة اثراها ، اقدام شانها السعي في الخيرات والقربات ، وأكف شانها فعل الخيرات والمكرمات ، ادام الله ايامها ونصر اعلامها ، وأوطاء (كذا) ركابها اعناق الملحدين والمتمردين ، وانعشه في كل وقت بنصر وفتح مبين ، نسئل (كذا) الله تعالى ان يجعله اركابا لم يزل ممتطيا مطايا السعد ، محفوفا بالسعود ، قطبا للسيادة السلطانية عليه تدور وبه تسود ، وان يجعله دايما

---

(33) راجع نص الرسالة اثر هاته الدراسة ، ص 43 ـ 46

(34) من الغريب ان يتخصص احد مشاهير الاستشراق الفرنسيين لوفي بروفنسال (Lévi-Provençal) بعض الاسطر لقضية المورسكيين في دائرة المعارف الاسلامية ، الطبعة الاولى ، ونحن نامل ان يسد هذا النقص والحيف العلمي بالنسبة للطبعة الجديدة بدراسة أعمق واشمل لجوانب هاته المسالة التاريخية والتي تكتسي اهمية خاصة في نظر المؤرخين العرب والاوروبيين على حد سواء

(35) عثرنا على هاته الوثيقة بارشيف متحف طوب كابي(Top Kapi) باستنابول تحت رقم T.K.A. 3164 ، وهي بخط مغربي اندلسي سهل القراءة جيده اما الوثيقة فذات حجم 44.5 طولا على 24.6 سنتم عرضا ، راجع الشكل رقم

التسليم
افضل الصلوة وازكى

بسم الله الرحمن الرحيم والصلوة والسلام على سيدنا محمد النبي الكريم وعلى اله وصحبه
يقبل مولي الاقدام الشريفة التي ثراها اذا ثَرّ بالعيون الرمدة ابراها ورحاب الاكف الكريمة التي
عطاها اذا اثرنا الارض المحيلة اثراها اقدام شانها السعي في الخيرات والقربات وايدي شانها
فعل الخيرات والمكرمات ادام الله ايامها ونصر اعلامها واوطأ ركابها اعناق الملحدين
والمتمردين وانعشه في كل وقت بنصر وفتح مبين نسأل الله تعالى ان يجعله رشادا ثابتا
لم يزل مستطيا مطايا السعد محفوفا بالسعود قطبا للسيادة السلطانية عليه تدور وبه
تسود وان يجعله دايما باقيا راقيا في درجات العز والملك الى اخر الدهر محصونا في حرز الله الحصين
وان يحفظ ذاته بطول بقايه وما ذلك على الله بعزيز رحاب حضرة الجود ورواق العز الممدود
ومعدن الرافة والحنان وما من لطايف اللطف ومظهر ان الله يامر بالعدل والاحسان حضرة
فخر ملوك البسيطة ودرة تاج الملوك الوسيطة كبير سلاطين الزمان منيل اقاصي
الاماني والامان الملاذ الاعظم والثمال الاعصم ذي العروة التي لا تنفصم والحجة التي لا تخصم الذي
يعترف له القاصي والداني بالفضل على الاطلاق ويتبوأ رتبة الاصالة والجلالة بالاستحقاق ولم لا
وهو نسيم الخلافة العلية في منصب الوراثة وحايز الفضيلة السنية من خدمة المساجد الثلاثة
وله ملك مصر وانهارها والشام وديارها والحجاز وشرف مغناها والى حضرته مجتمع الرفاق
من الافاق والبالغ الاجسام بالرحلة والافيدة بالاشواق وعلى جميع تلك الحضرة العليا بمحاسن
الدين والدنيا انعقد الاجماع والاصفاق مولانا السلطان الملك الاشرف الاعظم الافخم الارفع
الاعرف الاعلم الاحلم الارحم الارأف الاجود الاكرم الاسمى الاعطف قامع الملحدين وقاطع
دابر الطغاة والبغاة والمردة والمفسدين مسهل طريق الحج والعمرة والزيارة الفايز بشرف الدين
والدنيا من الجهاد في سبيل الله والتعلق في المسجد الحرام والعمارة مطهر البسيطة من درن فسادها
ومظهر آيات الرافة والرحمة في بلادها سلطان الاسلام والمسلمين عز الدنيا والدين
وظل الله على الخليقة اجمعين السلطان بن السلطان بن السلطان السلطان سليمان
بن السلطان سليم بن السلطان بايزيد بن محمد خان مد الله ظلال النعمة بامتداد ظلاله
وضاعف لديه مواهب اكرامه وافضاله وادام لهم سعده المنير باهر الاشراق وجعل سهم
ضده للتقصير لازم الاخفاق وحفظ بشهب اوليايه حرمه من مردة النفاق جميع الاقطار والافاق
نحو الامام الهمام والاسد الباسل الضرغام الذي مهد الله تعالى بدولته البلاد وامن
ببركة ايالته في مسالكها ومماليكها العباد ومزق به ثوب الفساد وقطع بسيفه
وسنانه وبادرلي قلمه الاعلى ولسانه دابر اهل العناد فسعد الاسلام بدولته
واعتز دين الله العزيز في مدته وخمدت نيران البغي بسعادته واقترب الاماني وشمل الامان
هنيها مستبه نسل الله تعالى ان يصل لسيدنا ومولانا عادته نصره وتمكينه ويريه قرة
العين في دنياه ودينه وبعد فان عبيدك الفقرا الغربا المساكين القاطنين
بجزيرة الاندلس وجملة عددهم ثلاثة الاف واربعة وستون الف منهم من رسا بهم بغرناطة وغيرها
خمسون والباقي من نهاية المسلمين راقعين شكواهم وبالافون من بلواهم باكين متضرعين مستغيثين
بعناية مولانا السلطان دام عزه ونعمه لما اصابهم من اعداء الدين وطغاة المشركين وما هم فيه من
مكابدة الكفار ومقاساة التضييق والاضرار وجور اهل الشرك اناء الليل واطراف
النهار وتحريقهم ايانا بالنار وتكالب العدو علينا ومد يد السوء والضرر الينا واحلت
بنا الاعداء من كل جانب ورمونا عن قوس واحد بسهم صايب وطالت بنا الايام
وقاست فينا يد النكاية والايلام وخذلنا جيراننا واخواننا ببلاد المغرب من اهل
الايمان وتعلقنا بجوارنا الوزير المكرم المجاهد في سبيل الله خير الدين وناصر الدين
وسيف الله على الكافرين تعلم باحوالنا وما نحن من ظلم اعوان الطغاة بالجزاير
واجتمعت اهل الاسلام على طاعة مولانا وعبيته بالخواطر والكمائن واتنظم العدل
والشرع والامان في البادي والحاضر فاستغثنا به فاغاثنا وكان سببا في خلاص كثير
من المسلمين من ايدي الكفرة المتمردين ونقلهم الى ارض الاسلام وتحت ايالة طاعة مولانا
السلطان ولعادية مدينة بوشلاو وشرشال ونواحي تلمسان فلما سمع الكافر اللعين بذلك
ولم يقدر على منعنا بالسياسة والاهانة والحرق بالنيران علم انا اخترنا المهيبة في الا
موالعة الايمان واثرناه علينا على ساير الاديان فلما ضيقت الضماير وخفت القلوب الخناجر

الشكل رقم 2 . رسالة من مسلمي غرناطة الى السلطان
سليمان القانوني سنة 1541 .
الوثيقة متحف طوبي كابي رقم 3154 T. E. A.

نسيم الخلافة العلية في منصب الوراثة ، وحايز الفضيلة السنية من خدمة المساجد الثلاثة ، وله ملك مصر وانهارها ، والشام وديارها ، والحجاز وشرف مقدارها والى حضرته مجتمع الرفاق من الافاق ، واليها تحجج الاجسام بالرحلة والافئدة بالاشواق ، وعلى جمع تلك الحضرة العليا لمحاسن الدين والدنيا ، انعقد الاجماع والاصفاق (كذا) ، مولانا السلطان الملك الاشرف الاضخم الارفع الاعرف الاعلم الاحلم الارحم الارف (كذا) ، الاجود الاكرم الاسمح الاعطف ، قامع الملحدين وقاطع دابرة الطغات (كذا) والبغات (كذا) والمردة والمفسدين ، ممهد طريق الحج والعمرة والزيارة ، ألفايز بشرف الدين والدنيا من الجهاد في سبيل الله والسقاية في المسجد الحرام والعمارة ، مطهر البسيطة من درن فسادها ، ومظهر آيات الرافة والرحمة في بلادها ، سلطان الاسلام والمسلمين ، عز الدنيا والدين وظل الله على الخليقة اجمعين السلطان بن السلطان بن السلطان ، السلطان سليمان بن السلطان سليم بن السلطان بايزيد بن محمد خان ، مد الله ظلال النعمة بامتداد ظلاله وضاعف لديه مواهب اكرامه وافضاله ، وادام نجم سعده المنير باهر الاشراق ، وجعل سهم ضده الحقير لازم الاخفاق ، وحفظ بشهب اولياء مجده من مردة النفاق ، جميع الاقطار والآفاق، فهو الامام الهمام ، والاسد الباسل الضرغام ، الذى مهد الله تعالى بدولته البلاد، وامن ببركة ايالته في مسالكها وممالكها العباد، ومزق به ثوب الفساد ، وقطع بسيفه وسنانه وبادرتي قلمه الاعلى ولسانه دابر اهل العناد ، فسعد الاسلام بدولته ، واعتز دين الله العزيز في مدته ، وخمدت نيران البغي بسعادته ، وامتدت الاماني وشمل الامان بحسن سياسته ، نسئل (كذا) الله تعالى ان يصل لسيدنا ومولانا عادت (كذا) نصره وتمكينه ، ويريه قرة العين في دنياه ودينه وبعد : فان عبيدك الفقرا (كذا) المساكين المنقطعين بجزيرة الاندلس وجملة عدتهم ثلثمائة الف واربعة وستون الف منهم من رسايهم بغرناطة وغيرها خمسون والباقى من عامة المسلمين ، رافعين شكواهم، وما يلاقون من بلواهم باكين متضرعين مستنصرين بعماية مولانا السلطان دام عزه ونصره لما اصابهم من اعداء الدين وطغاة المشركين ما هم فيه من مكابدة الكفار ، ومقاسات (كذا) التضييق والاضرار ، وجو على الشرك اناء الليل واطراف النهار ، وتحريقهم ايانا بالنار (36) قد تكالب العدو علينا، ومدد السوء والضرر الينا ، واحاطت بنا الاعداء من كل جانب ، ورمونا عن قوس واحد بسهم صايب ، وطالت بنا الايام ، وعاشت فينا يد النكاية والايلام، وخذلنا جيراننا واخواننا ببلاد المغرب من اهل الايمان ، وقد كان بجوارنا الوزير المكرم ، المجاهد في سبيل الله خير الدين وناصر الدين وسيف الله على الكافرين ، علم باحوالنا ، وما نجده من عظيم اهوالنا لما كان بالجزائر واجتمعت اهل الاسلام على اطاعة مولانا ومحبته بالخواطر والظماير (كذا) ،

(36) من المسلم به تاريخيا ان محاكم التحقيق كانت كثيراً ما استعملت الحرق تنكيلا بالاعداء واتهامهم بالمروق والزيغ وخاصة بالثوار المسلمين راجع عنان ، نفس المصدر ، ص 341

وانتظم العدل والشرع والامان في البادي والحاضر ، فاستغثنا به فاغاثنا وكان سببا في خلاص كثير من المسلمين ، من ايدي الكفرة المتمردين ، ونقلهم الى ارض الاسلام ، وتحت ايالة طاعة مولانا السلطان ولعمارة مدينة برشك (37) وشرشال ونواحي تلمسان ، فلما سمع الكافر اللعين بذلك ولم يقدر على منعنا بالسياسة والاهانة والحرق بالنيران ، علم انا اخترنا المصيبة في الاموال والابدان ، واثرنا ديننا على ساير الاديان ، فلما صدقت الضماير ، وبلغت القلوب الحناجر ، خاف من عصبتنا واجتماع كلمتنا وتركنا اموالنا واوطاننا وهجرتنا وفرارنا الى بلاد الاسلام لسلامة ديننا ، تحاير في امره ، وجمع اليه اهل تدبيره وحزبه ، فدبروا ومكروا وهل يحيق المكر السيء الا باهله ،؟ واتفق رايهم المعكوس ، وتدبيرهم المنكوس ، على قتال الجزائر ، ليلا يبقى ببلاد المغرب لاهل الاسلام ناصر فعاقبهم الله بعقاب اصحاب الفيل ، وجعل كيدهم في تضليل ، وارسل عليهم ريح عاصف وموج قاصف (كذا) ، فجعلهم بسواحل البحر ما بين اسير وقتيل ، ولا نجا منهم من الغرق قليل ، والان اشتد غضبهم على اهل الاسلام ، وهم يتوسلون بالرهبان والاصنام ، ونحن نتوسل بسيد الانام الى موجب الوجود ذو (كذا) الجلال والاكرام ، وهم عازمين (كذا) على الجزائر ، والله تعالى هلكهم وينصر دينه وهو نعم الناصر، يا مولانا سلطان البرين والبحرين نصركم الله ، المدد المدد لنصرة الجزائر لانها سياج لاهل الاسلام ، وعذاب وشغل لاهل الكفر والطغيان ، وهي موسومة باسمكم الشريف ، وتحت ايالة مقامكم المنيف ، وقداصبحت القلوب المنكسرة بها عزيزة والرعية المختلفة بها مؤتلفة اليفة ، وطراز رونقها المجاهد في سبيل الله عبدكم الوزير الاجل خير الدين ، الممتثل لاوامر مولانا ، ونتاج عز الدنيا والدين ، فانه احيا هذا الوطن ، وجميع النواحي والسكن ، وارعب قلوب الكفار ، وخرب ديار المردة والفجار ، واظهر نظام السلطنة العثمانية واحكام مولانا نصره الله حتى تزينت بها الديار والامصار ، فنرغب ونطلب من مولانا نصره الله فيما يراه من ارساله لهذا الوطن ان زءا (كذا) مولانا صلاح (كذا) في ذلك فيكون ذلك غاية الاحسان لجميع اهل الاسلام وقهر ونكاية لحزب الشيطان، وقد اتفق جمعنا من المسلمين المذكورين على رفع الشكوا (كذا) الى مولانا السلطان الاعظم سلطان الاسلام لا زال بالعز موصوف (كذا) وبالبهاء والنصر محفوق (كذا) بان يغيثنا بارسال المجاهد خير الدين باشه (كذا) الى الجزائر ، فانه لهذا الوطن نعم ناصر وجميع اهل الشرك منه خايف وحاير (كذا) ، والسلام التام على المقام الشريف العالى ورحمة الله بتاريخ اوايل شهر شعبان احد شهور سنة ثمانية واربعين وتسعمائة (38)

(37) في النص الأصلي توجد هاته الكلمة على الشكل التالي برشل وعلى الرغم من تحرياتنا لم نتمكن من معرفتها وتحديد مكانها ، لكن بالرجوع الى كتاب الترنفس المصدر ، ج 1 ، ص 59 ، يذكر ان الاندلسيين استقروا في عدد من المدن الساحلية ومنها مدينة برسك (Prisk) ونتساءل هل هو تحريف لكلمة برشل ؟ وحتى برسك لم نعثر على تحديد لها

(38) ما بين 19 و 29 نوفمبر 1541

باقيا راقيا في درجات العز والملك الي اخر الدهر ، مصونا في حرز كنف الله الحريز ، وان يخرق له العادة بطول بقايه وما ذلك على الله بعزيز ركاب حضرة الجود ، ورواق العز الممدود ، ومعدن الرافة والحنان ومامن الخايف اللهفان ، ومظمن ان الله يامر بالعدل والاحسان ، حضرة فخر ملوك البسيطة ، ودرة تلك السلوك الوسيطة ، كبير سلاطين الزمان ، منيل افانين الاماني والامان ، الملاذ الاعظم والثمال الاعصم ، ذى العروة التى (كذا) لا تقصم ، والحجة اللتى (كذا) لا تخصم ، الذى يعترف له القاصى والداني بالفضل على الاطلاق ، يبوءه رتبة الاصالة والجلالة بالاستحقاق ولم لا وهو

رسالة من السلطان العثماني أحمد الأول الى دوج البندقية حول الموريسكيين

لا شك أن قضية الموريسكيين التي استقطبت اهتمام المؤرخين منذ لعصور الحديثة ، ما زالت تشد العديد منهم اليوم الى دراسة جوانب كثيرة هذا المشكل المعقد . وعلى الرغم من تنوع وثراء عدد من الدراسات التاريخية المنهجية التي ظهرت مؤخرا ، الا أننا ما نزال نشعر حيال هذا الموضوع بالحاجة الى تعميقه بالعمل على استقراء المخطوطات والوثائق العربية والعثمانية منها على الخصوص ، هذا فضلا عن دور الوثائق الاسبانية التي ما زالت تزخر بمختلف المعلومات عن هذا الموضوع .

ننشر اليوم نص رسالة كان وجهها السلطان العثماني احمد الاول الى دوج البندقية بتاريخ جوان 1614 حول الموريسكيين (1) ، لتعكس احدى مواقف الدولة العثمانية منهم ، خصوصا بعد عملية الطرد النهائي من الاندلس ، ذلك ان موقف الدولة العثمانية الذى شوه ما زال يحتاج الى دراسة منهجية تستند الى الوثائق الجديدة ، لا الى الفرضيات والاحكام الاعتباطية (2) ، ومحاولتنا هاته تهدف من انطلاقا من هذه الرسالة الجديدة ، الى تتبع موقف الدولة العثمانية من عملية طرد الموريسكيين النهائي من الاندلس

Archivio Di Stato Di Venzia, Buste 7 - 42 / 155

(1) عثر صديقي الاستاذ خليل الساحلي على هاته الوثيقة بارشيف البندقية وقد تفضل مشكورا بالسماح لنا بدراستها ونشرها . وقد قمنا بزيارة ارشيف البندقية وتبين لنا ان هاته الوثيقة تحمل الرقم التالي :

(2) ان دراسة موقف الدولة العثمانية من المشكل الموريسكي عموما ما زال ينتظر مؤرخا منصفا خاصة واننا مللنا الاحكام الاعتباطية العاطفية والتى تعودنا سماعها من طرف عدد من المؤرخين الذين لم يكلفوا انفسهم عناء البحث فى الوثائق العثمانية حتى يكونوا امناء على اقرار الحقائق ويذهب المؤرخ محمد عبد الله عنان حتى الى اقرار اتهام موقف الدولة العثمانية من انه : « لم يكن متسما باية بادرة مشكورة او موقف مشرف ، يستحق تسجيل التاريخ وتقديره » من قضية الموريسكيين وان العثمانيين « شغلوا بفتوحاتهم العقيمة (كذا) فى اوروبا ، فى بودوليا واليوكرين ، وفى المجر وغيرها ، وهى الفتوح التى اثارت اوروبا النصرانية كلها على الاسلام ودفعتها الى التكتل لمناوأته وكفاحه فى حملات صليبية جديدة » ا راجع هذه الدراسة « موقف القسطنطينية وباقى العالم الاسلامى من سقوط الاندلس وآخر مسلميها وامام الغزو الاوروبى للعالم الاسلامى عموما » بمجلة الاصالة ، عدد 27 ، سبتمبر - اكتوبر ، الجزائر 1975 ، ص 101 - 115.

ان عمق مأساة الطرد النهائي التي عاشها الموريسكيون لا تقل فضاعة وهولا عن مأساة مصيرهم منذ سقوط غرناطة ، بل ان الملابسات الرهيبة التي حفت بتنفيذ الطرد ، قد تتجاوز حدود الادراك المنطقي للاحداث لتصبح شيئا خياليا غير ممكن التصور ، ومع هذا فان ما حدث للموريسكيين يستحيل على المؤرخين ان يترجموا عنه بدقة ويتعرفوا على كل تفاصيله ، وعلى هذا الاساس يبقى البحث التاريخي ، ازاء مثل هذه القضايا ، نسبي النتيجة

* ماذا كان موقف الدولة العثمانية وهي تشهد عملية الاختناق الموريسكي والطرد الجماعي في اوائل العشرينيات من القرن السابع عشر ؟

ان الوضع السياسي للامبراطورية العثمانية أثناء حكم السلطان أحمد الاول (1603 ــ 1617) كان وضعا دقيقا وصعبا ، حيث عرفت الدولة العثمانية عددا من المشاكل الداخلية والهزائم البحرية مع النمسا وفارس وتجلى هذا الضعف في صلح زيتفاترك الجائر (Szitvatorok) الذي عقده العثمانيون مع النمسا عام 1606 والصلح الذي عقدوه مع شاه فارس عباس الكبير ، ثم الثورات التي اندلعت في عدد من الولايات العثمانية الاوروبية والعربية (3) ولم تعد البحرية العثمانية مرهوبة الجانب في عرض البحر الابيض المتوسط ، على الرغم من الحركة النشيطة التي أبداها الاميرال العثماني خليل باشا ، كما أن اسبانيا أصبحت هي الاخرى دولة ذات أثر محدود جدا على ميزان القوى على البحر نفسه ، وظهر على الساحة السياسية فرنسا وانقلترا والبندقية التي اخذت تلعب دورا تزداد اهميته يوما بعد يوم وكان على الباب العالي ان ياخذ بالاعتبار كل ذلك

وقد عقد الباب العالي مع فرنسا معاهدة صداقة وأصدر السلطان خطا شريفيا بهذا الخصوص في 3 فيفري 1605 (4) بل أن المعاهدات التجارية التي تربط الباب العالي بفرنسا وبريطانيا والبندقية قد تجددت أثناء حكم السلطان احمد الاول (2) . الا ان علاقة الباب العالي مع البندقية خلال النصف الثاني من القرن السادس عشر وأوائل القرن السابع عشر اتسمت بالعمل على عرقلة أي تحالف أوروبي مع البندقية واظهار مزيد من التعاون التجاري معها (6) ، خاصة اذا أدركنا أن هم جمهورية البندقية هو حرصها الشديد على المحافظة على حيويتها الاقتصادية العالمية وبذلك كانت الدولة العثمانية تتمتع بعلاقة

---

(3) كرامرز « الاتراك » بـ دائرة المعارف الاسلامية باللغة العربية ، ج 2 ص 188 القاهرة ، 1969

راجع أيضا :

Cavid Baysun, « 'Ahmed I », in Islam Ansiklopedisi, t. 1, pp. 161-164, Istanbul, 1940.

انظر أيضا :

Robert Mantran, « 'Ahmed I » in Encyclopédie de l'Islam, 2e édition, pp. 275-276.

(4) Le Baron I. de Testa, Recueil des traités de la Porte Ottomane, tone premier, p. 175, Paris, 1864.

(5) Mantran, op. cit.

(6) Michel Lesure « Notes et Documents sur les relations Vénéto-Ottomanes 1570-1573 (II) », in Turcica, tome VIII/1, p. 116, Paris - Strasbourg, 1976.

طيبة مع هاته الدول الثلاث التي كانت تشكل أهم القوى الغربية آنـذاك ، ما عدا اسبانيا ، عدوتها التقليدية خلال القرن السادس عشر حيث كان موضوع الموريسكيين من القضايا التي عمقت الخلاف بين الدولتين

* * *

وكان يسيطر على الحكومة الاسبانية في أوائل القرن السابع عشر ويشغل بالها مشكل تصفية الموريسكيين (7) حيث انتهجت سياسة قمعية تجاههم بالعمل على اجتثاثهم نهائيـا من أراضيها ، وقد تعـددت القوانيـن والاوامـر الصادرة من دواوين التحقيق بهذا الخصوص ، ومددت فترات صلاحية الطرد في محاولة منهم المرات العديدة في خنق المسلمين والقضاء عليهم تماما

ودون أن نستعرض تفاصيل الطرد المروعة والتتبعات التي اشرف عليهـا الدوك دولرم (Duc de Lerme) (8) والكونت دو سالازار (Comte de Salazar) في ملاحقة الموريسكيين ، هـذا فضلا عن بقية الحكـام الاسبانيين ، نؤكـد ان الملابسات الاجتماعية والنفسيـة التي حفت بعملية الطـرد كانت رهيبة حيث تحمـل الموريسكيون كل مشـاق وارهاصات السفـر ومساومـات البحـارة الجشعين ، خاصة مع اولئك الذين التجاوا الى جنوب فرنسا (9) / وهذه صفحة تعكس جانبا آخر من مأساة الموريسكيين بعد مغادرتهم الاراضي الاسبانية

ان الدولة العثمانية كانت على علم بقضية الموريسكيين عن طريق عدد من المراسلات التي كانت ترد اليها سرا منهم ، وكذلك بفضل عدد آخر من الوسطاء النشطين امثال جارونيمو انرقاز (Jeronimo Enriguez) (10) . وكـان الموريسكيون هـم الاخرون على علم لكل ما يجـرى بالدولة العثمانية وكلمـا تحرك الاسطول العثماني في عرض البحر الابيض المتوسط ، الا وقوى أملهـم في النجـدة والمساعدة وبـرر ذلك تحركهم السرى (11) بـل ان الموريسكيين الذين امكن لهم النجاة والهجرة خارج اسبانيا كانوا يعتقدون ان ذلك قد تم بفضل التدخل العثماني (12)

والسؤال الذى يفرض نفسه الان ما اذا كـان السلطان العثماني أحمـد الاول قد قام بمبادرة ما لمساعدة الموريسكيين وانقاذهم من مصيبة التشـــرد الجمـاعي .؟

---

(7) Henri Lapeyre, Géographie de l'Espagne morisque, p. 175, Paris, 1959.

(8) Lapeyre, op. cit., p. 213.
يذكر هذا المؤلف ان دوك دولـرم قد قام بهذه العملية بصورة عنيفـة مع حـزم واستمرار بشرفـه !

(9) راجـع بخصوص ذلـك
Louis Cardaillac, « Morisques en Provence » et « Procès pour abus contre lec morisques en Languedoc » in, Etudes sur les moriscos andalous en Tunisie, pp. 69-113, Madrid - Tunis, 1974.

(10) H. Lepeyre, op. cit., p. 187.

(11) Louis Cardaillac, La polémique antichrétienne des morisques ou l'opposition de deux communautés (1492-1640), t. 1, p. 136, thèse de doctorat ès-Lettres dactilographiée, Université de Montpellier III, mai, 1973.

(12) Ibid., pp. 235-236.

ان تدخلا عسكريا عثمانيا في غرب البحر الابيض المتوسط خلال العقد الاول والثاني من القرن السابع عشر ، والدولة العثمانية بدأت في الضعف كما بينا سابقا ، هو أمر يكاد يكون مستحيلا ، ولكن باستطاعة الباب العالي ان يستغل صداقاته مع فرنسا وبريطانيا والبندقية فضلا عن الولايات العثمانية بافريقيا والمغرب الاقصى ، ليطلب من حكومات هاته الدول مساعدة الموريسكيين على الهجرة وتقديم المساعدة لهم وتسهيل مهمتهم والتدخل لدى الحكومة الاسبانية للتخفيف من القوانين الجائرة والمسلطة على الطوائف الاسلامية هناك

ونحن نعلم أن السلطان أحمد الاول كان ورعا متدينا ومتعلقا بالاسلام ومحبا لأهل الحرمين (13) ولا شك أن الاخبار المفجعة لتشريد المسلمين قد

جعلته اكثر اهتماما لمصيرهم والعمل على انقاذهم وافراد حي خاص بهم بقالاطا Galata باستانبول وتخصيص أكبر جامع للمهاجرين الاندلسيين (14)

وقد سعت الدولة العثمانية لتمتين علاقاتها مع المغرب الاقصى الذي يعتبر البلد الاسلامي المتصل مباشرة باسبانيا والاندلسيين وقد ارسل السلطان أحمد الاول الاميرال خليل باشا في مهمة الى المغرب الاقصى التي وصلها بتاريخ 2 سبتمبر 1613 ، الظاهر منها كما يقرره المؤرخون ، هو تمتين العلاقات بين الدولتين وتبادل السفراء (15) غير أن المتتبع والمتأمل في سياسة الباب العالي ، في هذه الفترة بالذات ، لا ينفي أن تكون مهمة خليل باشا لها علاقة مباشرة بقضية الموريسكيين هاته القضية التي اهتم بها جميع حكام المسلمين مشرقا ومغربا ولعل زيارة خليل باشا الاميرال العثماني لطرابلس الغرب بعد زيارة المغرب الاقصى بخمس شهور لها مساس أيضا بهذا الموضوع الذي شغل الرأي العام الاسلامي آنذاك

ولكن الذي يسترعي انتباهنا اكثر هو المساعي الحثيثة التي قام بها السلطان العثماني أحمد الاول لدى بريطانيا وفرنسا والبندقية ، لمساعدة الموريسكيين وانقاذهم وتسهيل تحولهم الى أراضي الدولة العثمانية ، وانطلاقا

---

(13) محمد بن محمد الاندلسي الوزير السراج ، **الحلل السندسية في الاخبار التونسية** . تقديم وتحقيق محمد الحبيب الهيلة ، الجزء الثاني ، القسم الاول ، ص 106 ، تونس ، 1973

راجع أيضا Mantan, op., cit.

(14) C. Baysun, op. cit.

(15) Chapital de La Véronne, « Relations entre le Maroc et la Turquie dans la seconde moitié du XVIe siècle et le début du XVIIe siècle » in, Revue de l'Occident Musulman et de la Méditerranée, numéros 15-16 Aix en Provence, 2e semestre 1973, p. 398.

من هذا كلف السلطان الحاج ابراهيم اغا ، أحد خواص الخدمة السلطانية (16) بالسفر الى لندن ومقابلة ملكها جاك الاول (Jacques 1er) وطلب مساعدته في احتضان الموريسكيين الذين غادروا اسبانيا وتسهيل نقلتهم الى أراضي الدولة العثمانية (17) ، الا أن بريطانيا التى عقدت معاهدة سلم مع اسبانيا ابتداء من سنة 1604 ، لم تستجب لطلب السلطان العثماني ، ولم تحقق هذه السفارة أية نتيجة تذكر

أما مع فرنسا ، حيث كانت علاقات الدولة العثمانية ودية ، فقد أرسل السلطان أحمد الاول الى الملكة ماري دى ميدسيس (Marie de Médecis) الوصية على ابنها لويس الثالث عشر رسالة يطلب منها أن تساعد الموريسكيين الذين نزلوا بجنوب فرنسا وتوفير عدد من السفن ليتم نقلهم الى أراضي الدولة العثمانية ، وقد استجابت الملكة لنداء السلطان وأمرت باخراج المسلمين واركابهم سفنا فرنسية من سواحلها الى حيث يرغبون من البلاد الاسلامية (18)

ماذا كان مسعى الدولة العثمانية مع دوج البندقية حول قضية الموريسكيين ؟ ان رسالة السلطان أحمد الاول الى دوج البندقية التى بين أيدينا والتي تم العثور عليها بأرشيف الدولة بالبندقية لدليل قاطع على التدخل السياسي للدولة العثمانية لدى حليفاتها باوروبا للعمل على مساعدة الموريسكيين

والذي نستنتجه من هذه الوثيقة ان موريسكيين اثنين هما علي وسليمان قد رفعا الى الدولة العثمانية تقريرا عن وضعية اخوانهم بالاندلس ، وكيف انهم يرغبون الالتحاق بالدولة العثمانية عن طريق البر لخشيتهم من البحر الذي أصبح غير آمن بالنسبة اليهم ، وهم يطلبون من الباب العالي التدخل لدى دوج البندقية للسماح لهم باجتياز الاراضي التابعة اليه دون أن يتعرض لهم ولأموالهم وأشخاصهم

وهذا ما يؤكد تلقائيا ان الموريسكيين الذين كانوا يخشون البحر ،

---

(16) شمس الدين سامي ، قاموس الاعلام ، ج 1 ، ص 532 ، استانبول ، 1888 ، توفي الحاج ابراهيم اغا سنة 1612 ومعنى هذا ان هاته السفارة تمت بعد 1603 وهي سنة اعتلاء ملك بريطانيا العرش

(17) R. N. Kurat, Ingiliz-türk munâsebetlerinin başlangiç ve gelişmesi, Ankara, 1953.
مذكور في :
C. Baysun, op. cit.

(18) عبد الله عنان ، نفس المصدر ، ص 112
يذكر نفس المؤرخ ان هاته السفارة التي ارسلت الى فرنسا كانت نتيجة تدخل احد زعماء الموريسكيين الاندلسيين محمد ابو العباس الحنفي الذى وصل الى مدينة بلغراد وتقابل مع مراد باشا وزير السلطان الذى نقل اليه الظروف الصعبة التي تمت فيها عملية الطرد الجماعية ، وخاصة بجنوب فرنسا ولم يذكر المؤرخ مصدره في ذلك

يفضلون الطريق البري عن طريق البندقيه للتحول الى الولايات العثمانية القريبة (19)

كذلك ناشد السلطان دوج البندقية تقديم كل اعانة لهؤلاء الموريسكيين كما طلب اليه ان لا « يتدخل فى امورهم او يتعرض لهم ولارزاقهم واموالهم ودوابهم خلافا للعهد والامان بيننا ، وهذا أثناء مرورهم بالمنازل والمراحل والمعابر ليصلوها آمنين سالمين » (20) وقد ربط السلطان احمد الاول حسن استعداد دوج البندقية لتقديم المساعدة لهؤلاء الموريسكيين كسبب لتحكيم بنياز « المصالحة وتمديد المعاهدة بينهما » ، وهذه نقطة جوهرية تعكس مدى الاهتمام البالغ الذى أظهرته الدولة العثمانية لقضية الموريسكيين مع حكومة البندقية

---

(19) Fernand Braudel, La Mediterranée et le monde méditerranéen à l'époque de Philippe II. t. 2, 2e édition, p. 133, Paris, 1966.
يؤكد انه كانت تتم عن طريق البندقية هجرة الموريسكيين العجيبة

(20) انظر نص الرسالة المعربة عن اللغة التركية اسفله ، ص 47 ـ 48 .

النص التركي للرسالة

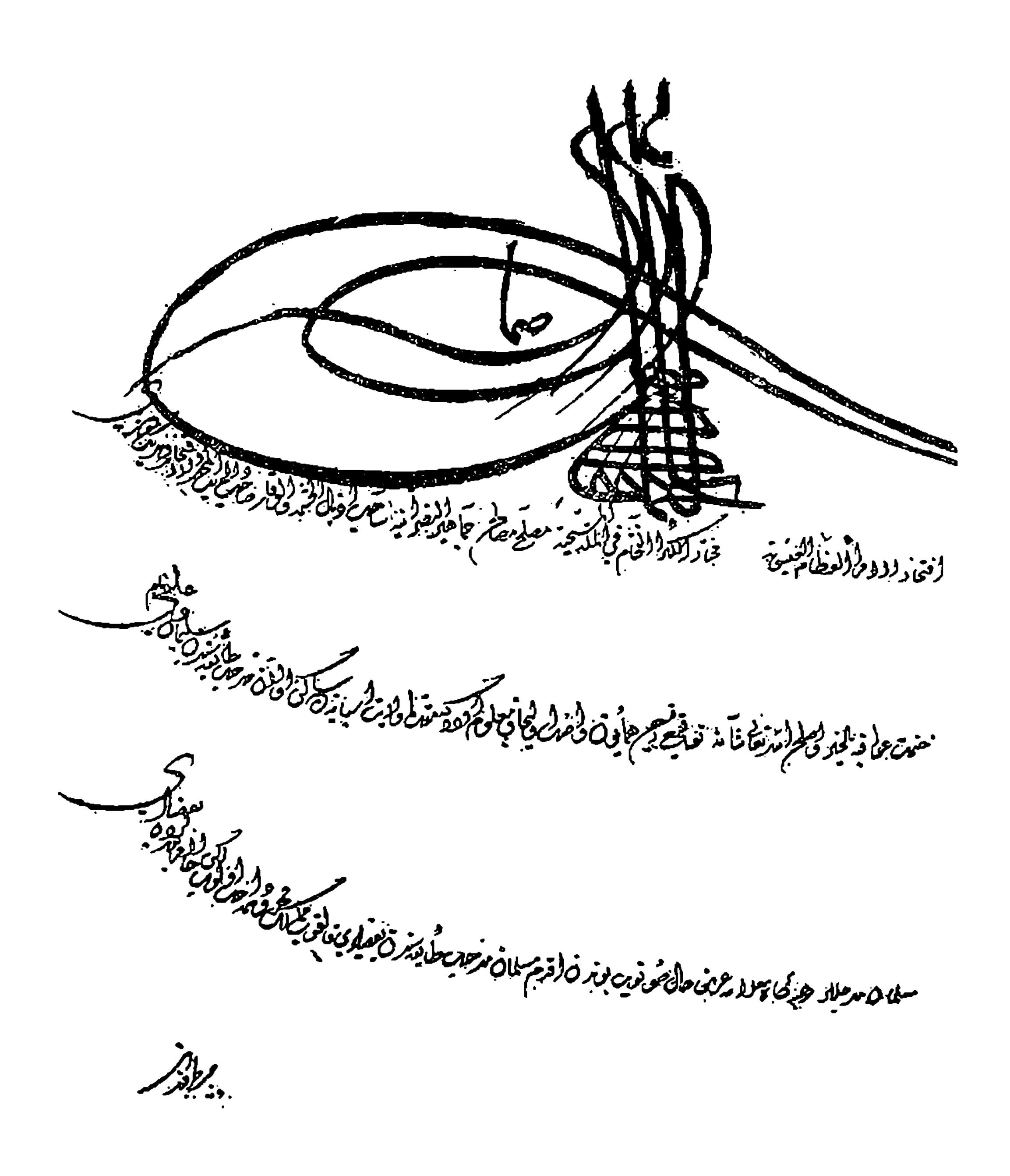
افتخار الامراء العظام العيسويه مختار كبراء الفخام في الملة المسيحية مصلح مصالح جماهير النصرانية ساحب اذيال الحشمة والوقار صاحب دلائل المجد والافتخار وندیك دوزی ختمت عواقبه بالخیر واصلح الله تعالى شانه توقيع رفيع همايون واصل اوليجاق معلوم اولاكه مقدما ولايت اسبانية ده ساكن اولان مدجل طايفه سندن سليمان وعلي نام مسلمان مدجللر درکاه معلمامه عرض حال صونوب بوندن اقدم مسلمان مدجل طائفه سندن بعضيلرى قالقوب ممالك محروسمه داخل اولوب لكن حالا مزبورلردن بعضيلرى ايله اولوب دريادن كلمكه خوف ايدوب واقتدارلرى داخی اولمغه قره ايله وندیك طرفندن ممالك محروسمه كلوب داخل اولمق مرادلرى اولوب وندیك طرفندن ممالك محروسمه كلمك اوزره اولان مسلمانره دخل وتعرض اولنميوب امين وسالم مرور وعبور اينلرمكز رجا ايلديلر ايمدى سز قديم الايامدن سدة ، سنية ، سعادت مدار وعتبه علية ، كردون اقتدار مزه خلوص قلب وحسن اعتقاد ايله عرض اخلاص واختصاص ايده كلمش دولت عليه مزك خير خواهی اولوب بومقوله استانه ، سعادت اشيانه مزه متعلق خدمتلرده معاونت ومظاهرت ايده كلدكلز عنز حضور فائض النورمزده محقق وظاهر اولدوغى اجلدن طائفه مزبوردن حاليا سزك ولا ينكز ده اولان مسلمانلره اجازت ويربلوب قره طرفندن آمين وسالم بروجانبه ارسال وايصال ايتمكنز بابنده نامة ، همايون سعادت مقرونمز يازيلوب ارسال اولنمشدر كركلركه :

وصول بولدقده قديم الايامدن استانه ، سعادت اشيان ودودمان مخلد الاركانمزه اولان خلوص محبت وداد وصفاى عقيدت اعتقادكوز موجبنجه ذكر اولنان مسلمان مدجل طائفه سى اسبانيه‌دن قالقوب ممالك محروسه مزه كلوركن ونديك ولايتنه اوغرادقلرنده منازل ومراحلده ومعبرلرده كندولرينه وطوارلرينه واسباب وارزاقلرينه عهد وامانه مخالف برفردى دخل وتعرض اتلرميوب امين وسالم ممالك محروسه مزه ايصال ايليه سز شمديه دكين حسن اهتمامكز ظهوره كتورلدوك اجلدن بوفقرانك دخى سهولت ايله دار الامان اولان ممالك محروسه مزه كلمه لرينه مساعدة كوز ظهورى وتحصيل رضاى اقتضامزه بادى واساس مصالحه ومعاهده نك استحكام وامتدادى اولاجغنده اشتباه يوقدر اكا كوره تقيد كوستروب مرضى الحال ومرفه البال روانه قلمرينه سعى واهتمام ايليه سز تحريرا في اواسط جمادى الاولى سنة ثلث (كذا) وعشرين والف

مقام قسطنطينية المحروسة (21)

(21) ارشيف الدولة الايطالية بالبندقية
Archivio Di Stato Di Venzia, Buste 7 - 48 / 166
2

انظر الشكل رقم 2 ص 46



الشكل رقم 2 . رسالة من السلطان احمد الاول الى دوج البندقية سنة 1614 حول الموريسكيين .

تعريب الرسالة

افتخار الامراء العظام العيساوية مختار الكبراء الفخام في الملة المسيحية ، مصلح مصالح جماهير النصرانية ، صاحب اذيال الحشمة والوقار ، صاحب دلائل المجد والافتخار دوج (Doge) البندقية ختمت عواقبه بالخير واصلح الله تعالى شانه

نحيطكم علما بهذا التوقيع الرفيع الهمايوني بان سليمان وعلي (22) وهما من طائفة المدجلين (23) (المدجنين) القاطنين بالاندلس ، قد رفعا الى ابوابنا العالية عرضا اعلمانا فيه انه قد ورد سابقا الى الممالك المحروسة طائفة من المدجلين المسلمين كانوا قد غادروا بلادهم وانه ما يزال منهم هناك اناس يريدون القدوم علينا عن طريق البر ليدخلوا الممالك المحروسة وهم يرجون ان لا يتعرض لهم ولا يتدخل في شئانهم احد ، اذا ورد هؤلاء المسلمون عن طريق البندقية الى الممالك المحروسة، فلتسمح بمرورهم وعبورهم بالامن والسلامة

نظرا الى انكم ممن يريد الخير لدولتنا العلية وما زلتم تظهرون الاخلاص والولاء من قديم الايام الى سدة سعادتنا وعتبتنا العالية ، علو الافلاك ، عن نية خالصة وطوية حسنة فانه واضح وجلي لدى حضرتنا العزيزة الفائضة الانوار ، انكم كنتم وما زلتم تقومون بامثال هذه الخدمات وتقديم المعونة لسدة سعادتنا السنية ، ونظرا لكل هذا فقد حررنا وارسلنا اليكم هذا الكتاب الميمون الهمايوني لتجيزوا من هو الان ببلادكم من طائفة المسلمين ان يعبروا عن طريق البر الى ممالكنا امنين سالمين .

وبناء على خلوص محبتكم ووددادكم وصفاء عقيدتكم لهذه الابواب السعيدة المشيدة الاركان من سابق الايام والازمان ، اذا ما ورد هذا الكتاب اليكم ، ان توصلوا الى ممالكنا المحروسة كل من يريد القدوم علينا من طائفة المدجنين المسلمين الذين خرجوا من اسبانيا وحلوا بولاية البندقية ، فلا تسمحوا لاحد ان يتدخل في امورهم او يتعرض لهم ولارزاقهم واموالهم ودوابهم خلافا للعهد والامان

---

(22) كم سيكون مجديا اجراء تحريات في دور الوثائق العثمانية التي ولا شك ستساعدنا على العثور على التقارير التي رفعها الموريسكيون الى رجال الدولة العثمانيين

(23) نرجح المختصين على اطلاق لفظة المدجنين لا المدجلين كما جاء في النص التركي للرسالة !

(بيننا) وهذا اثناء مرورهم بالمنازل والمراحل والمعابر ليصلوها امنين سالمين وقد سبق واتضح لنا حتي الان حسن اهتمامكم وتيقنوا ان مساعدتكم لهؤلاء المساكين بدخولهم بلادنا التي هي دار الامان وسيلة لتحصيل رضانا الميمون وسبب لتحكيم بنيان المصالحة وتمديد المعاهدة ، فاهتموا واسعوا ، بناء على هذا ان يمروا ويعبروا راضيين عن حالهم ، مرفهى البال .

تحريــرا في اوسط شهر جمــادى الاول سنــة 1023 (24)

بمقام قسطنطينية المحروسه

---

(24) ما بيــن 19 و 29 1614

واقع ومستقبل البحث

عن تاريخ الموريسكيين الأندلسيين

لا شك ان دراسة موضوع الموريسكيين الاندلسيين بعد سقوط غرناطة سنة 1492 آخر معاقل المسلمين بالاندلس يعد احد المواضيع التاريخية الشائكة والمعقدة بالنسبة للتاريخ الاسلامي وللتاريخ الاسباني على حد سواء وأنه على الرغم من دقة هذا الموضوع وخطورته فما زلنا نجهل الكثير عن هذا الموضوع وابعاده المختلفة وهذا راجع للاسباب التالية

أولا : ان الفترة الحضارية الاندلسية « السعيدة » قد ملأت نفوس الناس اعجابا واعتزازا بها باعتبارها احدى الحلقات الاساسية الفاعلة والمؤثرة في فلسفة الحضارة العربية ـ الاسلامية وعطاءاتها المختلفة وتطعيم وتعزيز مضمون المعرفة الانسانية الشاملة حيث منحتنا الاندلس عن طريق أمرائها وعلمائها وفلاسفتها وكتابها وفقهائها وشعرائها وعمرانها الرائع أفضل القيم وأخلدها وأخصبها عطاء ونبلا فلا غرو ان عزف الناس باحثين ومؤرخين عن دراسة أفول ومأساة شعبها الذى حورب في لغته ودينه وهويته وحضارته .

ثانيا : ان العاملين في حقل الدراسات الاندلسية للفترة السعيدة عديدون . وقد غطوا بذلك مختلف الاوجه السياسية منها والادبية والحضارية وهذا خلافا لفترة ما بعد السقوط حيث لا نجد في الساحة العربية والاسلامية سوى قلة نادرة من الباحثين تعد على الاصابع ، قد اهتموا بهذا الموضوع وأولوه عنايتهم الا ان كتاباتهم ما زالت نادرة ولا يعرف عنهم عامة المتخصصين الشيء الكثير وهذا ما زاد الموضوع اشكالا وغموضا

ثالثا : اننا نلاحظ في الطرف المقابل عشرات الباحثين والمتخصصين لفترة ما بعد السقوط حيث تعددت مراكز البحوث في أوروبا وأمريكا ونتج عن ذلك مئات الدراسات والكتب التي ظهرت بلغات اجنبية وتناولت هذا الموضوع استنادا الى مختلف الارصدة الارشيفية في اسبانيا (I) والبرتغال (2)

(I) قامت السيدة جان مونيك الكولي باعداد رسالة دكتورا غطت وحصرت الدراسات الدولية لتاريخ الموريسيكيين الاندلسيين وقدمت بجامعة مونبلييي بفرنسا نامل ان يرى هذا العمل النور ليكون مرجعا حول الموضوع

(2) الباحث الوحيد الذى استفاد من الارشيفات البرتغالية هو الدكتور احمد بوشرب وحيث اقش مؤخرا رسالته بجامعة مونبلييي وتناولت موضوع
Les cryptos - musulmans d'origine marocaine et la société portugaise au XVI siècle . 3 V.

هذا فضلا عن المخطوطات الاخميادية والتى توزعت فى مختلف المكتبات الاساسية فى أوروبا ، وهى ارصدة المعلومات الغنية والتى ترجمت عن المناخ النفسى والاجتماعي والسياسى والدينى الذى عاشه العرب ـ المسلمون من يوم سقوط غرناطة الى طردهم النهائى منها سنة 1609 م.

رابعا : ان الباحثين والمؤرخين العرب ـ المسلمين اليوم يسعون من منطلق جديد ورؤية شمولية للتاريخ العربى ـ الاسلامى وحس ووعي كاملين بالمسؤولية العلمية المناطة بعهدتهم التصدى لدراسة هذه القضايا الجوهرية ، ايمانا منهم بوجوب الاهتمام بالتاريخ الموريسكى ـ الاندلسى وتشريك المجامع والمراكز العربية فى تأطير المعرفة والعمل على ابلاغها وتعميم فائدتها خدمة لتاريخنا وحضارتنا (3)

- ونحن بحرصنا على دراسة هذه المأساة الحضارية بالاندلس استنادا الى استنطاق مضامين الوثائق الاسبانية خاصة لا نريد بذلك تأجيج العواطف ، وتعتيم علاقاتنا مع دولة اسبانيا الصديقة فهذا بعيد كل البعد عن مرامينا واهدافنا ؛ واصدقاؤنا الاسبان قد ادركوا جيدا هذا الامر وقد نوهوا بالعقلية التاريخية المجردة وبالحوار العلمى النزيه الذى أقمناه مع المتخصصين فى الدراسات الموريسكية ـ الاندلسية وقد تبين للجميع اننا دعاة حقيقة نعمل بعقلية مجردة ومنهجية تاريخية واضحة وان التصدى لدراسة خصائص المجتمع الاسبانى وعقلية مسؤوليه والوسائل التنكيلية واللاانسانية واللاقانونية التى مارستها دواوين محاكم التفتيش لتصفية الوجود العربى الاسلامى بالاندلس يعد اليوم من المسائل التاريخية البحتة والتى اشترك فيها معنا زملاؤنا المؤرخون الاسبان ذلك ان الحقيقة التاريخية فوق كل الاعتبارات الدينية او السياسية او القومية وهذه تعد من اكبر دلائل ونتائج التقدم العلمى والحوار النزيه ومن منطلق أرضية التفاهم الحضارى المسؤول فى عصرنا الحاضر

وقبل كل شىء أحب أن أذكر ببعض الحقائق التالية

---

(3) هذه المعايير العلمية هى التى حددت وجهة عملنا واهتمامنا وكانت وراء انشائنا لاول مركز عربى ـ اسلامى بزغوان بالبلاد التونسية **مركز الدراسات والبحوث العثمانية والموريسكية والتوثيق والمعلومات** منذ ثلاث سنوات وتنظيمنا لثلاثة مؤتمرات بتونس ونشرنا للعديد من الدراسات والبحوث عن الموريسكيين ـ الاندلسيين تأليفا وتعريبا وعزمنا للتصدى للكتابة منهجية علمية لهذا التاريخ وتعريب العديد من الكتب والمراجع والوثائق فى المستقبل تعزيزا للمكتبة العربية واثراء لهذا النوع من الدراسات الجديدة والهامة

اولا : أن 95٪ من الدراسات التاريخية المنصفة عن هذا الموضوع الاسلامي حررت من طرف مؤرخين ومتخصصين غير مسلمين وهم من جامعات اسبانيا وفرنسا والولايات المتحدة الامريكية وبريطانيا والمانيا الفدرالية وايطاليا ونتج عن ذلك صدور عشرات التآليف والرسائل الجامعية الجيدة والجديدة بغير اللغة العربية

ثانيا : أن هناك مخابر عديدة (4) استقطبت مجموعة من الباحثين المؤرخين تعمل منذ عقدين حول موضوع الموريسكيين وغطوا ميادين جديدة في البحث ونبشوا في التراث الموريسكي من خلال كتاباتهم الاخميادية وهي الكتابات المحررة بالاحرف العربية ولكن باللغة القشتيلية ، ثم عملوا على نشرها في بلدانهم .

ثالثا : أن مصادر معلوماتنا عن مأساة الموريسكيين ، هي ولا شك ما خلفته دواوين محاكم التفتيش من محاضر غطت تقريبا المأساة اليومية ومضاعفاتها ونتائجها بحيث لا توجد اليوم قرية ولا مدينة ولا بلدة باسبانيا والاندلس خاصة ، الا ولديها ملفات ضخمة عن الموريسكيين الاندلسيين وقد عمل المؤرخون الغربيون الى استنطاق تلك الملفات بحكم ترددهم على دور الارشيفات التاريخية الاسبانية .

رابعا : ان اهتمامات مراكز البحوث واقسام التاريخ بجامعات العالم العربي ـ الاسلامي لهذا الموضوع ضعيفة ان لم تكن مفقودة تماما وشبكة المعلومات السائدة قديمة نسبيا وهذا بحكم عدم المواكبة والاطلاع الدقيقين لغائية الدراسات التاريخية الدولية وتحولات اهتمامها وفقا للاكتشافات الجديدة .

وعليه فاننا نسعى لمواكبة مختلف هاته الاهتمامات الدولية لموضوع الموريسكيين ـ الاندلسيين وحصر كل الدراسات والتآليف الجديدة (5) وحتى القديمة منها ، ووضع كشاف سنوى لها وتعريب ما قدرنا عليه وهو لا يمثل الا 2٪ مما ينشر اليوم وعلى الخصوص تشجيع المؤرخين العرب المسلمين على الاهتمام بهذا الحقل الهام ، والخطر ، اذ أن ذلك يعد أمانة علمية

---

(4) نذكر منها على الخصوص ثلاثة مخابر فقط (1) باوفيادو (Oveido) باسبانيا تحت اشراف الاستاذ قالمس دوفوانتس (Galmès de Fuentes) (2) مخبر بجامعة بورتوريكو تحت اشراف الاستاذة لوث لوبازبارلد (Luce Lopez - Baralt) (3) مخبر بجامعة مونبلييي تحت اشراف الاستاذ لوى كارداياك (Louis Cardaillac)

(5) اننا بصدد اعداد دليل المؤرخين الدوليين المهتمين بالدراسات الموريسكية ـ الاندلسية فى نطاق مركزنا

أخلاقية في أعناقنا جميعا يجب أن نتحملها ونؤديهـا جميعا بتظافـر جهـود المخلصين العاملين من أمتنا كل في موقعه اهتماما وتأثيرا وعملا وانجازا

* * *

إن ما حل بالموريسكيين الاندلسيين بعد سقوط غرناطة وحتى طـردهم النهائي سنة 1609 يعد أشنع وافضع مأساة انسانية عرفها التاريخ البشري على الاطلاق ومع هذا فان نوعية المعلومات التي بحوزتنا يغلب عليها الطابع العاطفي الارتجالي والحماسي الادبي من أمثال قصيدة الرندي وكتابات بعض المؤرخين حول هذا الموضوع وهي في الحقيقة كتابات لتذكير الناس بهاته المأساة ورفع الجهل عنهم أكثر منها كتابات أكاديمية تناولت في العمق عددا من القضايا والاشكاليات التاريخية لعمليـة التصفية الجسـدية والحضـارية والنفسية لمجتمع اسلامـي قائم له قواعده وقوانينه الثابتـة وتشريعاتـه ونظمه المستمدة من **جوهر الاسلام والقرآن** وكيف آل مصيـره الى الفنـاء المطلق والقضاء عليه واجتثاثه تماما من الاندلس وهذا نتيجة ما فرضته عليه محاكم التفتيش الاسبانية من سياسة تنكيلية قوامها التعصب الاعمى ومحاربة بسط مظاهر التبعية للدين الاسلامي

ان المواكب لغائية الدراسات التاريخية الغربية حـول هـذا الموضـوع ليشعر بارتياح كبير ـ والحق يقـال ـ عندما نلاحـظ مـدى تفريغ البحـث بقضايا في منتهى الاهمية التاريخية ، عندما سلطت الاضواء على دور الفقهاء في هاته المقاومة العنيدة والثابتة لسياسة محاكـم التفتيش (6) ودور المرأة الموريسكية الباسلة (7) وتحريم استعمال الالقاب العربية وتعميـم الالقـاب

---

(6) راجع بخصوص هذا الموضوع

R. Carrasco «Le refus d'assimilation des morisques, aspects politiques et culturels d'après les sources inquisitoriales» in, Les morisques et leur temps, pp. 169 - 216; Publications de C.N.R.S - Paris, 1983.

راجع أيضا لوى كاردياك **الموريسكيون الاندلسيون والمسيحيون المجابهة الجدلية (1492 ـ 1640) مع ملحق بدراسة عن الموريسكيين بامريكا** تعريب وتقديم د. عبد الجليل التميمي ، 193 ص تونس 1983

(7) Jeanne Vidal, **Quand on brûlait les morisques 1544 1621**, 269 p. Publications de l'auteur, Nîmes, 1986.

راجع أيضا جاكلين فورنال فارين «الصيدلية الموريسكية وممارسة الطب لدى المجموعة الموريسكية بمنطقة اراقون 1540 ـ 1620» ـ **المجلة التاريخية المغربية** عدد 15 ـ 16 ص 49 ـ 61 ، تعريب د. عبد الجليل التميمي ـ تونس 1979

المسيحية على كل المسلمين واجبارهم على عدم ختن ابنائهم ونوعيه الاداء المفروض عليهم (8) ونسبة وتقدير الاحصائيات الدقيقة لتهجير الموريسكيين وأماكن اقامتهم الجديدة والمشاكل التى اعترضت سبيلهم وعمليات الاستيلاء على أملاكهم وأموالهم ونسب ذلك ثم كيف كان يتعلم هؤلاء الموريسكيون واللغات التى كانوا يتكلمونها ويعرفونها وحرق الموريسكيين وخاصة الموريسكيات وعددهم وتواريخ ذلك ثم تعذيبهم وانتحارهم وهروبهم من السجن كذلك طبيعة المبادىء التى وجهت محاكم التفتيش للانتقام من الاحياء وأيضا من الاموات الموريسكيين وانتصاب المحاكم ليس فقط فى الاندلس والبرتغال ، بل أيضا بجزر الباليار وصقلية وبالرمو (9) وأمريكا اللاتينية وعلى متن السفن الاسبانية عموما (10) ثم المهن التى كان يتعاطاها هؤلاء البؤساء وحالتهم الاجتماعية وفقرهم وتشتتهم وحيث أصبح أكثريتهم عبيدا ثم عملية الاستيلاء على أملاك الاحباس باسم المساجد والحرمين الشريفين والتى ضمت الى أملاك الكنيسة الكاثوليكية ومقدار ذلك وعمليات الاستيلاب الثقافى والتغريب وطبيعة المجادلة الدينية والفكرية وبقية الاديان على أساس توفر النصوص الالخمادية واللاتينية وأخيرا كيف تمت عملية التهجير والطرد النهائى والظروف الجهنمية التى صاحبت ذلك بالتجائهم الى جنوب فرنسا أو جرائهم السفن المسيحية التى استولت على مخلفاتهم وقضت على الجزء الاكبر فضاع حقهم وقد التجؤا أخيرا الى المغرب العربى وخاصة تونس وكذلك الى أراضى الدولة العثمانية

تلك هى بعض من كثير الاهتمامات الجديدة التى يحوم حولها البحث التاريخى اليوم وهى لعمري أساسية وجوهرية لتفسير مختلف القرارات التى كانت وراء تصفية الوجود الحضارى العربى بالاندلس بل أن هذا الحقل من الدراسات كان وراء بروز علم الموريسكولوجى (Moriscologie) وهو يحتل اليوم اهتماما كبيرا فى الجامعات الاسبانية والفرنسية وفى عدد آخر من الجامعات الامريكية ، ولا شك أيضا أن جيلا جديدا من المؤرخين العرب أنكب هو الآخر على تأطير أكاديمي لعلم الموريسكولوجي وهذا بفضل استنطاقه لرصيد الوثائق البرتغالية والعربية وخصوصا المخطوطات

---

(8) Vincent Bernard «Las Rentas particulares del Reino de Granada en Siglo XVI Fardas, Habices, Haguela» in **RHM**, N° 27 - 28, pp. 269 - 288, Tunis, 1981.

(9) R. Carrasco et A. Gonzalez «Le problème morisque dans les îles de la Méditerannée» in **RHM**, N 35 - 36, pp. 39 - 70, Tunis, 1984.

(10) Monique Coste «Les morisques et le tribunal de la Mer, un procès exemplaire» in **Les Morisques et leur temps**, pp. 463 - 473.

الالحادية المبثوثة في عدد من المكتبات العربية والاجنبية

تؤكد الوثائق والمستندات التي نملكها اليوم والتي وظفها المؤرخيون الاسبان أنه لم تحترم البتة روح المعاهدة التي وقعت مع الطرف العربي بل سرعان ما تنكر لها (II). وبدأ المسؤولون السياسيون والدينيون الاسبان وهم المنغلقون دينيا وحضاريا على غيرهم ، والمؤمنون بوجوب محاربة كل ما هو غير كاثوليكي ، في عملية جديدة تقضي باسترداد ليس فقط المدينة ومن فيها وهذا ما تم لهم – بل أيضا باسترداد روحي وحضاري لكافة سكان المملكة وعلى الخصوص العرب – المسلمين

هذا وقد وزعت محاكم دواوين التفتيش قائمة مفصلة لكل المظاهر التي تنبيء عن اتباع الدين المحمدي من طرف الموريسكيين وطلبت من كل المواطنين الاسبان الاخبار لمحاكمة اصحابها (I2) ومعنى هذا نرى كيف ان الباب كان مفتوحا للوشاية والحقد والانتقام على ان وثائق محاكم التفتيش تضم مئات الآلاف من القضايا التي رفعت اليها وقضت فيها باحكام السجن والغرامة المشطة أو التهجير او الاستيلاء على الاملاك وسلب الحقوق المدنية ولعل العقوبة الشنيعة التي مارستها محاكم دواوين التفتيش هي الحرق حيا

وأول مظهر من هاته المعاناة هو ان رجال العلم والفقهاء لم يعودوا يسمون باسماء عربية ، في محاولة من محاكم التفتيش قتل الانتماء للضمير الاسلامي (I3) . وحتى النساء ، كن يلقبن بغير الاسماء العربية الى درجة أن

(II) د. محمد عبده حتامله التنصير القسري لمسلمي الاندلس في عهد الملكين الكاثوليكيين (1474 – 1516)، 180 ص، منشورات المؤلف عمان، 1980، حيث نشر نص المعاهدة كاملا راجع ايضا : د. اسعد حومد محنة العرب في الاندلس ، 328 ص ، منشورات المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت ، 1980

(I2) لدى كارديياك ، نفس المصدر ، ص 114 – 115 نشر محتوى هذا البيان
– « اذا تم الاحتفال بيوم الجمعة اذا احترموا تعاليم الاسلام الخمسة اذا اقاموا بالصلاة وحولوا وجههم الى الشرق وتم ذلك فوق حصير أو قطعة قماش . اذا ختنوا ابناءهم ولقبوهم باسماء عربية او أظهروا الفرح بتلقيبهم بتلك الاسماء ونادوهم بها اذا رفضوا أكل لحم الحيوانات غير المذبوحة او تم ذبحها من طرف النساء . اذا قالوا انه وجب الايمان بالله وبمحمد نبيه اذا حلفوا بكل الآيات القرآنية اذا قاموا بصيام رمضان وراعوا ذلك اثناء عيد الفصح وسلموا بعض الصدقات وانهم لم ياكلوا ولم يشربوا حتى يلاحظوا النجمة الاولى اذا قاموا بالوضوء وغسلوا السواعد والايدى حتى المناكب والوجه والفم والانف والاذنين والساقين اذا تزوجوا على المنهج المحمدي اذا غنوا الاغاني العربية ونظموا حفلات او رقصات واستعملوا آلات موسيقية ممنوعة اذا غسلوا موتاهم ولفوهم في كفن من قماش ابيض ودفنوهم اذا سمعنا ان الدين الاسلامي هو الاحسن وانه لا يوجد غيره للوصول الى الجنة اذا قالوا ان المسيح كان نبيا وليس الها واخيرا اذا فعلوا او قالوا اى شيء مرتبط بالدين الاسلامي » .

(13) Vincent Bernard «Les morisques et les prénoms chrétiens» in, Les Morisques... op. cit., pp. 59 - 69.

لويزا الازرق كانت تجهل حتى الاسماء اللاتينية لوالديها وزوجها وأطفالها السجـع (14) !

فقد اقرت محاكم التفتيش قطع الموريسكيين عن جذورهم الثقافيـة وذلك بالقضاء على نظامهم انطلاقا من قمة الهرم اى الزعماء والمتضلعين فى امـور الدين ، وأن نصف المحكوم عليهم بمنطقة داميـال كانـوا مـن الموسـرين والاغنياء (15) ، واقرت كذلك بأن الذى لا يدلى بمعلومات عمن يتبـع الدين الاسلامى يعد عدو عقيدة الكنيسة الكاثوليكية (16) وأن الموريسكيين «يمثلون السم والحشرات الطفيلية والنبتة السيئة فى حقل كنيسة اسبانيا او أنهم الذئاب المخربة والثعابين والعقارب والحيوانات البشعة السامة والتى كان سمها العنيف يقتل كثيرا » (17) . كذلك منع الموريسكيون من ختان أبنائهم حيث أصدرت محاكم التفتيش الامر التالى : «نطالب من الآن فصاعدا كل الجراحين والاطباء والاشخاص المرخص لهم بأن لا يقوموا بقطع مقدم عضو اى شخص دون اذن من الاسقف أو الحاكم ، وكل من يخالف ذلك يعرض الى النفي من المملكة » (18) . وقد ذكر أحدهم أنه قبل ختان ابنه ارضاء لوالد خطيبته الذى اشترط ذلك للموافقة على الزواج وهـذا حرصـا منهـم لابـراز الهـوية العربية ـ الاسلامية (19) وعليه أجبرت العائلة الموريسكية أن تتعلـم كيفية الختان حتى يقوم كل فرد بختن أبنائه سرا (20) بل أن محاكم التفتيش التى ضيقت الخناق حول هذا الامر أمرت بحرق العديد من الاشخـاص بمجـرد حضورهم فقط حفلات الختان ببلنسية سنة 1587 (21) على أن نسبة المختونين

---

(14) Ibid., p. 66.

(15) R. Carrosco Le refus... op. cit., p 189
cf. Jean - Pierre Dédieu «Les Morisques de Daimiel et l'inquisition (1502 - 1526)» in Les Morisques... op. cit., p. 501.

(16) Jeanne Vidal. op. cit. p. 157.

(17) لوى كازدياك ، نفس المصدر ، ص 100 .

(18) Vincent Bernard «Les Morisques et la circoncission» in, **Religion, Identité et sources documentaires sur les morisques andalous**, t. 2, p. 191, Tunis, 1984.

(19) Ibid., pp. 190 - 191.

(20) Ibid., p. 196

(21) Ibid., p. 198.

في أواخر القرن السادس عشر تتراوح ما بين 86 ٪ و 95.6 و 57.8 وفقا للمناطق الاكثر ارتباطا وتعلقا بالاسلام (22) .

ان سياسة المسخ والذوبان التى طبقت على المجتمع الاسلامي بالاندلس بعد سقوط غرناطة ، قد أعطت لاول مرة للفقهاء دورا رائدا ومثاليا في شد أزر الموريسكيين وتلقينهم وتذكيرهم بقواعد دينهم وتعاليمه وتنظيم الاجتماعات السرية واتخاذ القرارات الحاسمة (23) ، بل أن عددا من هؤلاء الفقهاء تزعموا الثورات مثل الفقيه لورنزو الذى قاد ثورة سنة 1570 (24) وعندما أقرت محاكم التفتيش طرد كل الموريسكيين والابقاء فقط على 6 ٪ لتعليم المسيحيين الوسائل الفنية للفلاحة ، نظم الفقهاء اجتماعا عاما أثناء الطرد ورفضوا حتى الابقاء على 6 ٪ منهم (25)

كذلك قدمت المرأة الموريسكية نموذجا فريدا ومشرفا لهاته الملحمة البطولية التى عرفها المجتمع الموريسكي خلال القرن السادس عشر ، حيث جسمت بادىء الامر المقاومة اليومية لمحاكم التفتيش اذ يتوقف عليها وحدها تحضير نوعية المآكل غير المحرمة (26) وتلقين الابناء تعاليم الدين والمحافظة على أسرار العائلة فـ ايزابال كالافارا كان سنها عشرين سنة حين أحرقت لانها لم تخبر عن والدتها ولا أختها (27) وعندما شتم أحد المسيحيين أنا دوفيفورا بقوله « أنها كلبة عربية » ردت عليه : «. نعم أنا عربية وأبي وأمي كانا وماتا عربيان وأنا عربية وسأموت عربية » (28) وقد اضطر العديد منهن الى شنق أنفسهن (29) أو رمي أنفسهن في البئر (30) أو قطع

---

(22) Ibid., p. 193.

(23) R. Carrasco, Le refus... op. cit., pp. 184 - 185

(24) N. Cabrillana - Ciezar «Une fuente para la historia de los moriscos las actas de la Cobila» in Religion... op. cit., t 1. p. 126

(25) لوى كارديك ، نفس المصدر ، ص 77

(26) Jeanne Vidal. op. cit., p. 165 (
cf. J. Fournel Guerin «La femme morisque en Aragon» in Les Morisques... op cit., p. 528.

(27) Ibid., p. 533.

(28) لوى كارديك نفس المصدر ، ص 23

(29) J. Vidal, op. cit., p. 165.
حيث انه من خلال عمليات الحرق في السنوات التالية 1584 و1585 و 1586 شنقت 24 امرأة انفسهن ليلة قرار حرقهن

(30) J. Fournel - Guerin قارن ايضا Ibid; pp. 128 - 129
cf. Carrasco, Le refus... op. cit, in, Les Morisques.. op, cit, p 208
des Morisques... op. cit., p. 533

السنتهن حتى لا يكشفن عن أسرار عائلتهن (31) الا أن محاكم التفتيش حكمت عليهن بالحرق وهذا ما تم فعلا بل أن من النساء من اجترن الحدود في زي الرجال (32) . أما كاتالينا موغنادا فقد تحولت الى بابوية روحة سميا منها لالغاء حكم دواوين التفتيش ضدها حيث استولت على كل املاكها الا انها احرقت سنة 1585 لدى رجوعها من روحة (33)

وقد بينت الدراسات التاريخية الاخصائية أنه تم ببلنسية حرق 129 سيدة موريسكية و 73 رجلا ، بل أن 70 ٪ ممن أحرقوا بمنطقة لوقرونو في الربع الاخير من القرن السادس عشر كن من النساء (34) . وعموما كان العنصر النسائي يمثل ثلث من أحرق ومعنى هذا أنه قبل سنة 1571 كانت المرأة تمثل 34 ٪ من ملفات المتهمين غير أنه بعد هذا التاريخ ارتفعت الى 40،5 ٪ منهم (35) .

وعليه فان العنصر النسائي كان معرضا لكل أنواع التنكيل والتعذيب ومن المؤكد أن 24 ٪ من أحرقوا قد عذبوا الا أن هاته النسبة سوف ترتفع الى 85 ٪ بالنسبة للخمس والعشرين سنة قبل الطرد النهائي ، وفي الفترة الزمنية التي تميزت بممارسة أشد أنواع التعذيب (36) بل وصل العداء أوجهه بادانة اناس على جرائم لم يرتكبوها وبدون حجج ولا أدلة على ذلك وقد كان سن المحكوم عليهم يتراوح بين الاربعين سنة بالنسبة 3/4 الرجال و 2/3 النساء (37) فالشاب خوان كوبانيرو من سرقسطه قد قطع اربا اربا اثناء حرقه سنة 1582 وهذا بسبب شديد ايمانه بدينه (37 مكرر) وعندما رجم جلادوه ؛ صاح أحد الموريسكيين « اني فعلا عربي حتى نخاع العظام » (38)

وقد صور أحد الموريسكيين هاته العزلة الاخلاقية والخوف بهذا النداء في أحد المخطوطات إلاهي أسألك باسم القدرة والعلم والرحمة التي تخلق

(31) J. Vidal, op. cit. p. 179

(33) J. Fournel - Guerin, Les Morisques... op. cit., p. 533

(34) J. Vidal, op. cit., p. 168

cf. Carrasco, Le refus... op. cit, in, Les Morisques.. op, cit, p 208

(35) R. Carrasco, «Morisques anciens et nouveaux Morisques dans le disterit inquisitorial de cuenca (première partie)» in, Mélanges de la Casa de Velazquez, t. XVI, (1985) p. 200.

(36) R. Carrasco, Le refus... op. cit., p. 181

(37) J.P. Dedieu, «Les Morisques de Daimiel et l'inquisition 1502 - 1526» in Les Morisques... op. cit., p. 501.

J. Vidal, op. cit., p. 139.

(37) (مكرر)

(38) لوى كارديااك ، نفس المصدر ، ص ٦٥

بها الجنين في بطن أمه.... أن تخفف أحزاني في الماضي، والمستقبل وخوفي وقلقي مهما كان مصدرهما » (39) .

ومن جهة أخرى خول «فتشو المحاكم اصدار قوانينهم ليس فقط على الاحياء للاستيلاء على أملاكهم بل شملت تلك الصلاحيات حتى الاموات منهم في حدود الاربعين سنة من تاريخ الوفاة ، وفي بعض الحالات لا تتقيد المحاكم بفترة زمنية كلما احتاجت الى ذلك (40) وهذا مُا عبر عنه المؤرخون بذاكرة العار لدى العائلات الموريسكية (41) كما نصت هاته المحاكم على أن الذين لم يموتوا كمسيحيين من الموريسكيين، يدفنون في قبر شديد القذارة (42)

اما عمليات الاستيلاء على الاراضي الموريسكية الجيدة فهذا موضوع «معقد جدا ومن حسن حظنا أن وثائق محاكم التفتيش قد سجلت لنا وبكثير من التفصيل حجمها ومضاعفاتها وكمثال على ذلك تم الاستيلاء على 100.000 هكتار أي 1.000.000.000 أي مليون متر مربع من الاراضي الجيدة اثر ثورة البشرات العامة سنة 1568 وهذا بحجة عدم الاستظهار بحجج التمليك (43) . وفي منطقة غرناطة تم الاستيلاء على 4.280.000 هكتار وعليه فان أملاك الكنيسة ومحاكم التفتيش قد تأسست، أساسا من الاحباس والاستيلاء غير الشرعي وبالاضافة الى ذلك واجه الموريسكون البؤساء قانونا تعسفيا آخر قضى بحتمية دفعهم الغرائم والاداء ثلاث مرات مما يدفعه غيرهم (44) ، وفي بعض الاحيان وصل الى ثماني مرات فالسيدة بربارو الفردو حكم عليها بالحرق ودفع 200 دوكا لأنها استقبلت الفقيه لوي ستريا ، ويمثل هذا المبلغ المالي أجرة عامل يومي خلال أربع سنوات (45) . والعادة تقضي بدفع 10 دوكا فقط الا أن هذا الاداء وصل الى 400 دوكا في كثير من الاحيان فخوان عالياس حكم عليه ست سنوات كجداف بدون أجرة على ظهر البواخر الملكية الاسبانية ومائة جلدة و 200 دوكا لأنه سهل سفر أحد أصدقائه الى الخارج (46) أما السيدة ماريا دوهاروديا فقد حكم عليها تسديد مبلغ

(39) Alvaro Galmes de Fuentes, «Cultura y Pensamiento de los Moriscos segun sus escritos» in, **Religion... op, cit.**, t 1, p. 315, Tunis, 1984.

(40) J. Vidal, **op. cit.**, p. 127

(41) **Ibid.**, p. 128

(42) Juan Bta Vilar, «Un intento de Aculturation de los Granadinos internados en Murcia y su Runo» in, **Religion... op. cit.**, t. 2, 167, Tunis, 1984.

(43) J. Vidal, **op. cit.** p. 113

(44) V. Bernard, **Las... op. cit.**, p. 285

(45) V. Bernard. **Las Rentas... op. cit.**, p. 274

(46) J. Vidal, **op. cit.**, p. 137

100.000 مراودي ، غير أنه نظرا لعدم قدرتها تسديد هذا المبلغ الكبير زج بها في السجن سنة 1585 وحيث مكثت فيه حتى سنة 1600 (47)

وأهل غرناطة أجبروا على دفع 80.000 دوكا سنة 1526 لبناء القصر الملكي بداخل قصر الحمراء في مدخله والذين زاروا الحمراء هذه اللؤلؤة المعمارية الفريدة من نوعها في العالم ، هندسة وتصميما واتقانا وموقعا ، سوف يتعرفون على قصر شارل الخامس المضاف من المدخل والذى بني بمال الموريسكيين (48) كذلك بنيت بعض السجون من مال الموريسكيين ليسجنوا فيها (49) . ما أشنع هذا المصير ! وقد تمكن أحد المؤرخين أن يحصر الرصيد المالي الذي سلمه الموريسكيون بمنطقة غرناطة من 1518 الى 1568 فوصل الى مبلغ 621.000.000 مراودي وبقشتيله مبلغ 5.976.000.000 مراودي وهى مبلغ خيالية فى ذلك الوقت (50)

ولمزيد أحكام الانتقام وتصفية العنصر الموريسكي من الأندلس وغرناطة على الخصوص قامت السلطات الاسبانية بتهجير أهالى غرناطة بعد ثورة البشرات حيث هجر ثمانون الف موريسكى . وقد تمكن أحد المؤرخين من القيام باحصاء تقريبى لمن هجر انطلاقا من سنة 1560 وقدم الرقم التالى ما بين 140.000 و 150.000 موريسكى (51) على أن تهجير الغرناطيين الى قشتيلة يعد ولا شك أشنع وأفظع الامثلة فى التاريخ الانسانى على الاطلاق وقد كانت نسبة المرأة عالية جدا اذا قيست بالرجال الذين ماتوا نتيجة الحرب أو التجائهم الى الجبال أو سجنهم وحرقهم (52)

اما اشبيلية فقد غادرها حوالي 7000 مهنى موريسكى - اندلسى أى 1/12 من مجموع السكان وهذا ما يبرر نقصان حركة التصدير الصناعية الى الهند فى هذه الفترة الزمنية بالذات اما طليطلة وقرطبة فقد تضررتا ضررا بالغا من جراء طرد المهنيين الموريسكيين الاندلسيين كذلك تاثرت منطقة كاتالانيا وبلنسية وغرناطة وخصوصا منطقة أراقون على امتداد مساحة أربعين كليومترا حتى جنوب منطقة الالب حيث أصبحت خرابا

---

(47) لوى كلدياك : نفس المصدر ص 108

(48) J. Vidal, op. cit., p. 113

(49) R. Carrasco, Le refus... op. cit., p. 201

(50) V. Bernard, Las... op. cit., p. 285

(51) Ibid., p. 285

(52) Vincent Bernard, «L'expulsion des Morisques du Royaume de Grenade et leur répartition en Castille (1570 - 1571)» In, Mélanges de la Casa de Velasquez, t VI (1970). p. 231

ومن جهة أخرى تؤكد الدراسات المنصفة ان الموريسكيين كانوا رجالا مهرة وفنيين في العديد من المهن مثل صناعة الحرير والذهب والفضة والنقش على اللوح والبناء والفلاحة وأساليب السقي الفنية كما كانوا وراء تعميم زراعة البرتقال والحوامض وقصب السكر ومختلف الاشجار المثمرة كالتوت والعديد من المنتوجات النباتية كالحناء مثلا. ان المكانة التى احتلها الموريسكيون على المستوى المهنى تؤكد ان الحياة الاقتصادية تضررت من جراء تخليهم عن هذه المهن وان كسادا عم العديد من القطاعات التى كاد يسيطر عليها الموريسكيون ، وخاصة في منطقة « ماربيا »

الا ان الاغلبية الساحقة لهؤلاء الموريسكيين في اواخر القرن السادس عشر استهنوا أشق المهن اليدوية واقساها وتحولت أعداد كبيرة منهم الى عبيد في بلاد النبلاء الاسبانيين او حمالين وجميعهم في سن متقدمة أما النساء في البرتغال فهن غسالات وربات بيوت وخادمات (53) وهو شيء طبيعي اذا أخذنا بالاعتبار طبيعة القرار القاضي بان لا حق للموريسكيين أن يملكوا محلات عمومية ولا دينية وأن يصبحوا مقلمين أو صاحبى مزارع وصيادلة واصحاب محلات تجارية واطباء وجراحين ومضمدين (54)

ان الاصرار على اتباع الدين الاسلامي على الرغم من التعميد القسري لكل المسلمين وملاحقة ومراقبة المخالفين لاوامر محاكم التفتيش وانزال أشد العقوبات عليهم لم يمنع المجتمع الموريسكي من الوفاء في أحرج الظروف وأقساها ، لدينهم ولغتهم وعاداتهم ، فهذا فرنسسكو يارار علياس علي رفض اليمين بالصليب الذى قدمه اليه المفتشون بعد ست سنوات سجن وحيث لم تغير رأيه في معتقده (55) وخوان الكسمات ، قبل أن يحرق أعلن علانية انتمائه الى الاسلام وأنه سيموت شهيدا وبالفعل فان من أحرق من الموريسكيين يعدون شهداء لانهم كانوا غير مقتنعين بالدين المسيحي الكاثوليكي الذى شكوا فيه ونادوا بالتسامح وفضلوا الموت حرقا على أن يقبلوا دينا يفرض عليهم بالحديد والنار . وهذا الموريسكي ذى 19 سنة والذى كان يحضر حفلات الزواج لاتقانه العربية ، كان يتفوه لوالدته بكلمات بذيئة كلما توجهت الى القداس (56) على أن الحفلات الدينية على اختلافها كانت تشكل

---

(53) Ahmed Boucharb «Spécificité du problème morisque au Portugal : une colonie étrangère refusant l'assimilation et souffrant d'un sentiment de déracinement et de nostalgie» in Les Morisques... op. cit., p. 226.

(54) ج. فورنال ـ فارين نفس المصدر ، ص 50

(55) J. Vidal, op. cit., p. 70

(56) R. Carrasco. Le refus... op. cit., p. 204

بالفعل ضمير الجماعة النابض واللحمة التي تشد أزر بعضهم البعض وقد انتبهت محاكم التفتيش الى اهمية هذه الظاهرة (57) ، فسعت بكل الوسائل أن تحدث الشقاق والخلاف في صلب العائلة نفسها بأن فرقت بين الابن ووالده والاخت واخيها ووالدتها وسعت الى تفكيك عرى العلاقات العائلية ومنع الزواج فيما بينهم وادخال العناصر الاجنبية لضرب العصبية الدينية والعرقية ، وقد سجدت محاكم التفتيش محاضر مفصلة لتفكيك العائلة الموريسكية والمآسي التي ترتبت عنه . فهذه الموريسكية التي وشت باهلها ، اضطر ثلاثة من عائلتها شنقيا وبدرو بوتي الذي ساعد محاكم التفتيش قد شنق من طرف موريسكيين (58) وقراسيا دوجاماس التي أخبرت محاكم التفتيش بأن اختها وأهلها يمارسون الدين الاسلامي ، قررت عائلتها اثر ذلك التخلص منها بدس السم لها فماتت . وقد حكمت المحكمة بحرق اخويها وعمها (59) . والزوجة انجيلا التي اعتنقت المسيحية (59) حرص أهلها الى ارجاعها الى الطرق السوية وعندما فشلوا قرر أخوها قتلها بغرس سكين في أحشائها . وقد عبر الاهالي عن فرحتهم لذلك (60) . اما الحلاق المضمد للجراح فقد طلب اليه اهالي طوريلاس والحوا عليه قتل-قابريال بينيدا لوشايته بهم لدى دواوين التحقيق • وبالفعل ذكر الحلاق انه قتله بعد ان ترك له الوريد مفتوحا ، جزاء على فعله (61) وهذا الأب الموريسكي الذي بصق في وجه ابنه وطلب اليه عدم الرجوع الى بيته وعدم التردد على عائلته ، بسبب عدم احترام قانون أجداده وأنه يعيش في الخطا شانه في ذلك شان المسيحيين (62) ، وهناك مئات الحالات المؤلمة التي برهنت على أن الخناق الذي فرض على هؤلاء الموريسكيين كان جهنميا

لقد كان الموريسكيون هدفا لكراهية شاملة من طرف المسؤولين ورجال الدين ومحاكم دواوين التفتيش حيث ضيقوا عليهم الخناق وقطعوا عليهم الطريق والامل والتكوا منهم كل عناصر مقومات حياتهم ، فاصبحوا في أواخر القرن السادس عشر يجهلون كلهم اللغة العربية ويتكلمون اللغة القشتلية . وهذا ما يفسر وجود ما لا يقل

---

(57) Ibid., p. 189
(58) J. Vidal, op. cit., p. 44., p. 64
(59) J. Fournel - Guerin, La femme... op. cit., p. 530
(60) Ibidem

(61) ج. قزنال ـ قارين ، نفس المصدر ، ص 53 .
(62) لوي كارداياك ، نفس المصدر ، ص 77

عن ثلاثمائة مخطوط في العالم حررت بالاحرف العربية ولكن باللغة القشتلية وهو ما اطلق عليه بالالخميادو وقد ترجمت هذه المخطوطات عن معاناتهم اليومية للحفاظ على انتمائهم العربي ـ الاسلامي وتشبثهم المستميت بثقافتهم وحضارتهم مع العلم ان التعصب الديني الاعمى كان وراء حرق مئات الآلاف من المخطوطات العربية في الساحات العمومية بالاندلس . وجني المخطوطات التي ترجمت عن فلسفة الحضارة العربية الاندلسية والتي تعتبر بحق احدى الحلقات الذهبية في مسيرة الفكر البشري على الاطلاق . لقد قضت سياسة السلط يومئذ بتهميش المجتمع الموريسكي وتجهيله تماما بعد أن قدم هذا المجتمع رصيدا فنيا وحضاريا ومعرفيا لم تعرفه مجتمعات البحر الابيض المتوسط الاوروبية الا بعد عصر النهضة لقد حرمت عليهم تعليم اللغة العربية وأمرت بالاستيلاء على كل المدارس وملاحقة الفقهاء والمعلمين الذين كانوا يؤمنون سرا تعليم الاطفال المسلمين ومنعت بالتالي الالتحاق بالجامعة ولا الحصول على الثقافة العلمية وهذا بسبب قوانين صفاء الدم (63) ، في حين كانت جامعات الاندلس مفتوحه أبوابها لكل الطلاب مسلمين ومسيحيين ويهودا من كل حدب وصوب وهو ما يترجم واقعا وحقيقة عن عالمية المعرفة العربية ـ الاسلامية دون منازع في حين سلطت محاكم التفتيش عقابا على أحد الموريسكيين وقضت بجلده 200 جلدة وقضائه خمس سنوات كجراف على ظهر السفن الملكية الاسبانية ومصادرة أملاكه والسبب هو العثور على عدد من الكتب العربية في بيته (64) !

وعندما كان المراقبون يدخلون البيوت عنوة بغرض العثور على الاسلحة ، كانوا يعثرون على الكتب العربية وقد حوكم أصحابها (65) وعليه سلطت محاكم التفتيش سخطها ونقمتها على الطبقة النيرة والمثقفة من الموريسكيين او الذين يعلمون الاخرين في مالاقا مثلا (66)

لقد بينت الدراسات التي اجريت حول هذه النقطة بالذات مدى الجهل الذي تفشى في المجتمع الموريسكي فقد تناسوا لغتهم العربية وشاع اللحن وهذا ما يجعلنا نقبل بالرأي القائل بأن 72 ٪ من الرجال كانوا لا يحسنون العربية في

---

(63) جاكلين نورتال ـ ڤارين ، نفس المصدر ص 50

(64) كارديال ، نفس المصدر ، ص 69

(65) المصدر نفسه .

(66) R. Carrasco, Le problème... op. cit., p. 59

النصف الثاني من القرن السادس عشر أما النساء فكن أميات تماما (67)
غير أن هذا لا يحجب عن نظرنا وجود بعض الحالات الاستثنائية التي تميزت بالعلم والثقافة أمثال الموريسكي المنثابو الذي استوعب ثقافة عصره واطلع على التراث الكلاسيكي واستشهد بشخصيات عديدة عربية ومسيحية ويهودية (68) او الرحالة العالم الحجري الذي زار عددا من العواصم الاوروبية وجادل رجال الدين فيها ويتمتع بثقافة عربية ـ اسلامية ولاتينية واسعة (69) أو محمد الشرطوسي أصيل وادي الحجارة وهو طبيب بالبلاط الاسباني أو عالم الفيزياء هرتادو دو مندوزا (70)

لقد تنوعت خلال هاته السنوات الاخيرة مسالك البحث وقد درسنا من جانبنا استنادا الى وثائق مهمة اكتشفناها بارشيف استانبول ، علاقة الدولة العثمانية بالموريسكيين (71) على ان هجرة الموريسكيين الى بلدان المغرب العربي قد استقطبت العديد من الدراسات ولعل ما قام به الاستاذ ميكال دي

---

(67) Consuelo Lopez - Morillas, «Copistes y escribanos» in, Religion... op. cit., t. 2, p. 72. cf. Nejib Ben Jemia, La langue des derniers musulmans de l'Espagne, 138 p. Publications de l'Université de Tunis 1987 1987 (1).

(68) Maria Teresa Narvaez, «Mas sobre la Tafcira del Mancebo de Arevalo» in, Reliopgion... op. cit., pp - 125 - 126.

راجع ايضا د. لوت لوباز ـ بارالت «النبوءة في الادب الاخميادو ـ الموريسكي للاندلس من خلال مخطوطه بالمكتبة الوطنية بباريس» وقد عربنا هاته الدراسة ونشرت في المجلة التاريخية المغربية ، عدد 21 ـ 22 ـ ص 50 ـ 61 تونس ، 1981

(69) من محاضرة ألقتها الاستاذة سارنال ساركا في المؤتمر العالمي الثالث للدراسات الموريسكية والذي عقده مركزنا في شهر مارس 1987 . وكان موضوع بحثها مسافر عربي اندلسي الى فرنسا في القرن السابع عشر الشهاب احمد الحجري راجع الكتاب الذي أصدرناه مؤخرا :

Las praticas musulmanas de los moriscos, andaluces (1492 - 1609) pp. 161 - 166, Ceromdi - Zaghouan, 1989.

(70) A. Galmes de Fuentes, Cultura... op. cit., p. 313 cf de même auteur «La littérature aljamiado - morisco - littérature traditionale» in RHM, N° 27 - 28, pp. 237 - 246, Tunis, 1982.

(71) راجع دراساتنا السالفة الذكر ضمن هذا الكتاب

ايبلزا لكل ما يتعلق بتونس ، يعد عملا رائدا في هذا المجال ، وحيث تعددت الامثلة بعد ذلك (72)

ولنا ان نتساءل عن مجابهة الموريسكيين الاندلسيين لهذه السياسة التنكيلية التي خططت لتصفيتهم واجتثاثهم من المجتمع الاسباني او تذويبهم فيه تماما وجوابي على ذلك ان الموريسكيين طوال القرن السادس عشر وأوائل السابع عشر قاموا بعشرات الثورات التي اعلنها الموريسكيون ضد سياسة التنكيل بهم وخرق روح الاتفاقية الموقعة مع الاسبان واجبارهم على مغادرة الارض الاندلسية بالقوة وتلك مأساة أخرى لم تعشها مجموعة بشرية على الاطلاق، حيث أجبروا مع مطلع القرن السابع عشر على مغادرة الاندلس عندما اصدر فيليب الثالث قرار الطرد النهائي سنة 1609 وقد اختلف المؤرخون في عددهم ، حيث قدر المؤرخ سالازار العدد بثلاثمائة ألف اما بليدا فقدر العدد بـ 340 672 ولورانت بتسعمائة ألف أما المؤرخ ببنالوزا فقدره بـ 310 غير ان آخر احصائية مدروسة ومستندة الى الوثائق والمستندات الاسبانية جعلت المؤرخ الفرنسي هنري لابيـم (Henry Lapeyre) يقدم الرقم التالي 275،000 (73) ومن جهة أخرى اجمعت المصادر الغربية ان العدد الاكبر من المطرودين الموريكسيين قد اكتروا عددا ضخما من السفن لتحولهم الى موانيء المغرب العربي واسكندرية والباب العالي وان جلهم تعرضوا الى النهب والسلب من طرف قواد السفن . اما القسم الآخر فقد اتخذ من البر وسيلة لمغادرة الاندلس واختاروا فرنسا عن طريق اكد (Agde) ودوردنيا (Dordogne) ومرسيليا ومنها الى البندقية فاراضي الامبراطورية العثمانية او المغرب العربي وخصوصا تونس حيث احتفى بمقدمتهم عثمان داي وخصص لهم الدور والاراضي وسعى الى توظيف خبراتهم المهنية ومعرفتهم للغة القشتيلية ولاساليب الحروب البحرية والتي تفننوا فيها وقد انشأوا نتيجة لذلك مدنا عديدة مازالت تشهد حتى يومنا هذا بخصوصيات المعمار الاندلسي هذا فضلا عن ترجمتها بدقة عن اساوب حياتهم وعاداتهم ومطابخهم وتقاليدهم ونذكر من هاته المدن تستور ووقلعة الاندلس وخصوصا زغوان ولسائل أن يقول هل بعد الطرد النهائي الاجباري والجماعي سنة 1609 لم يعد هناك وجود الإندلسيين !

---

(72) راجع كتابه

M .de Epalza et R. Petit, Etudes sur les moriscos andalous en Tunisie 385 p. Index. Madrid - Tunis, 1973.

(73) Henry Lapeyre, Geographie de l'Espagne Morisque, Paris, 1958

الموريسكيين وللاجابة على هذا السؤال نقول نعم استمر عدة آلاف منهم بالاندلس للاسباب التالية

أولا إنه استحال اجتثاث كل المسلمين الاندلسيين وطردهم . فقد بقى من اتخذ من التقية شعارا وتظاهر باتباع الدين المسيحي ولكن هؤلاء مارسوا شعائرهم سرا

ثانيا ان الآلاف من الاطفال المسلمين منعوا من مغادرة الاندلس وتم تذويبهم في المجتمع الاسباني الكاثوليكي

ثالثا ان عدة آلاف أخرى ممن خشوا ويلات الوقوع في ايدي البحارة الاوروبيين الذين استولوا على أموالهم اثناء ابحارهم ، قد فضلوا البقاء ، مع العلم انهم منعوا من بيع عقاراتهم ولو بابخس الاثمان وهذا بقرار من الملك فيليب الثالث الذي حرم شراء دورهم وأراضيهم واملاكهم من طرف الاسبان. وحتى الذين أخفوا ثرواتهم منعوا من اخذها معهم

وهناك عدة أسباب أخرى عائلية ومهنية واجتماعية حيث كان آلاف الموريسكيين غير قادرين على دفع مقابل ابحارهم وهذا ما ادى الى بقائهم بالاندلس بعد الطرد النهائي

والذي يؤكد هذه الظاهرة هي تلك الدراسة التي نشرها الاستاذ رافاييل دولارا قارسيا في في مجلتنا والتي تناولت موضوع « بقاء الاسلام في مدينة غرناطة في منتصف القرن الثامن عشر » (74) حيث دلل استنادا الى الوثائق الاسبانية كيف ان محاكم دواوين التفتيش وصل الى علمها ان عددا كبيرا من القساوسة ـ نعم القساوسة ـ والمسؤولين الاداريين والعسكريين الاسبان ، يمارسون شعائر الدين الاسلامي سرا حتى سنة 1727 بمدينة غرناطة .

وفي ضوء ذلك صدرت الاوامر بالقبض عليهم جميعا يوم الاربعاء 1 أكتوبر 1727 ابتداء من الواحدة صباحا وحتى السادسة وقدموا الى المحاكمة حيث قضت المحاكم بسحب أملاكهم وحرقهم في وسط الكنائس (75)

والذي لفت انتباهنا في محاكمة 250 شخصا ان العدد الاكبر كان من النساء حيث كان عددهن 154 امرأة . ومعنى هذا ان المرأة الاندلسية بقيت الوعاء الحضاري الامثل للحفاظ على التقاليد والعادات والدين

كما اننا نلاحظ في دراسة الاستاذ قارسيا كيف ان السفير الفرنسي باستانبول قد ارسل تقريرا الى الملك الاسباني بتاريخ 18 مايو 1728

---

(74) المجلة التاريخية المغربية عدد 43 ـ 44 ، ص 49 ـ 58 (من القسم الفرنسي) تونس 1986
(75) المصدر نفسه .

يحيطه فيه علما ان عائلة اسبانية موريسكية من غرناطة قد حلت باستانبول وهي مؤلفة من ثمانية اشخاص ينحدرون من ملوك عرب الاندلس ، ومن عائلات النبلاء وقد غيروا لباسهم وتزيوا بالالبسة العثمانية وتم اثر ذلك اقامة حفل كبير لهم حضره الصدر الاعظم ورجال الدولة تم بموجبه ختان ذكورهم وقد سلموا منزلا ومبلغا ماليا قدره عشرة آلاف « ايكو » ذهبي وقد ذكرت هذه العائلة ان عددا آخر من العائلات الغرناطية ما زالت تمارس الدين الاسلامي سرا من منتصف القرن الثامن عشر وفي سنة 1757 حوكم «بدرونافارو» وهو موريسكي - اندلس باتباع شعائر الدين الاسلامي سرا بل ان الرحالين الانجليزيين سوييبورن وتوسند ذكرا في كتابيهما انهما لاحظا

ممارسة تطبيق الاسبان لشعائر الدين الاسلامي في أواخر القرن الثامن عشر (76)

الا يحثنا هذا على صرف عنايتنا واهتمامنا لتأطير المعرفة والعمل على كتابة تاريخية علمية ومنهجية لكل ما يتعلق بموضوع تصفية الوجود العربي - الاسلامي بالاندلس ؟ تلك هي مهمة نبيلة ودين حضاري في أعماق المخلصين من أمتنا مسؤولين وجامعيين ومؤرخين وباحثين بل ومواطنين أيضا (77)

---

(76) المصدر نفسه

(77) يتعذر علينا ان نأتي على كل الدراسات التي أنجزها المؤرخون الغربيون وبعض زملائنا العرب فهي عديدة ومتنوعة وعساني أرجع الى هذا الموضوع في المستقبل ولكننا أردنا من خلال هاته الدراسة أن نلفت الانتباه الى تنوع قنوات البحث ومسالكه والاتجاهات الجديدة التي ينحو نحوها

الخلفية الدينية للصراع الاسباني العثماني وقضية الموريسكيين

عندما نثير الصراع الاسباني ـ العثماني على الايالات المغربية (1) في القرن السادس عشر ، يرتسم في اذهاننا عدد من المفاهيم والمعطيات التاريخية عن الأمبراطوريتين العثمانية والاسبانية واذا كانت الدراسات التاريخية الاوروبية المتعددة قد ركزت اهتمامها على دراسة مختلف مظاهر الحياة السياسية والاقتصادية لاسبانيا في القرن السادس عشر وقدمت لنا اطارا كاملا للحركية السياسية الاسبانية ، فان مثل تلك الدراسات عن الامبراطورية العثمانية في البحر الابيض المتوسط ما زالت تفتقر الى عمل كثير لنفهم ونتتبع عن وعي ابعاد حركيتها في الايالات المغربية على الخصوص ، وبذلك يمكننا شرح خلفية التحرك الديني العثماني وتتبعه ومقارنته بالتحرك الاسباني وخلفيته ، وذلك بالقاء أضواء كاشفة ودقيقة لفهم هذا الصراع الحاد والدموي بين الامبراطوريتين / كما أن شرح العوامل المختلفة التي كانت تؤثر على دين وسلوك وتفكير رجل القرن السادس عشر العثماني أو الاسباني ، فضلا عن المسؤولين الذين لونوا أحداث القرن السادس عشر ، بترجم واقعا وحقيقة عن مميزات الاحداث السياسية التي عاشتها منطقتنا الجغرافية

يهدف هذا البحث اذن الى تتبع وتطور الخلفية الدينية الاسبانية وكذلك انطلاقا من عدد من الرسائل الجديدة التي عثرنا عليها بأرشيف سبتنابول برئاسة الوزراء الى دراسة تفكير رجال الدولة العثمانيين الديني وردود فعلهم وتعميق فهمنا لسياستهم عندما أنجدوا الايالات المغربية ودافعوا عن الموريسكيين الاندلسيين .

* * *

---

(1) تطلق جميع المصادر الاوروبية كلمة (Etats Barbaresques) على المنطقة الجغرافية المغربية ، ونظرا لما تعكسه هذه التسمية الاعتباطية من مدلول عنصري متحامل ، فاننا نفضل استعمال كلمة الايالات المغربية لندلل على المنطقة الممتدة من ليبيا الى المغرب الاقصى

يستحيل على المؤرخ المتخصص فى تاريخ الدول الاوروبية ، ان يفصل الدين عن السياسة فى القرن السادس عشر ، ذلك أن الدين كان الموجه والملون لكل الفعاليات والتحركات السياسية ، وحيث « كانت الكنيسة تتدخل فى كل شيء » (2) وحتى « مظاهر الحياة اليومية كانت مشبعة بالدين » (3)

ولعل الملابسات والمناخ السياسي لاسبانيا منذ سقوط غرناطة كان يترجم عن مدى عمق التاثير الدينى الذى كان يسيطر على الناس والمسؤولين، خاصة بعد سقوط غرناطة سنة 1492 والذى ألهب انتصار الاسبانيين وحفزهم الى محاربة الاسلام اينما كان وخاصة فى أرضهم ان هذا الاصرار وهذه الملاحقة وهذا العنف فى محاربة « أعداء الدين » هي مميزات اسبانيا التى جندت خلال قرنين من الزمن ، وباسم الوحدانية وصفاء الدين جنود « الملك الكاثوليكى » وعلى هذا الاساس وجب اعتبار الدين فى القرن السادس عشر بمثابة « الضمير الوطنى » للشعب الاسبانى (4) والبانى للوحدة ، وحدة العقيدة والايمان وقد فرض هذا الايمان وهذا التمسك المغلق أشق الواجبات على المواطنين للعمل على خلق عالم جديد للانجيل والدين المسيحى (5) ، باعتبار ان وحدة الدين هى الدعامة الراسخة للمجتمع

واذا كان الملوك الاسبانيون الاكثر تمسكا بالدين ومغالاة فيه واحساسا بثقل الارث المسيحى على عاتقهم وواجب الدفاع عنه وحمايته ثم العمل على نشره ومحاربة أعدائه ، وهذا ما يمكن تبريره تاريخيا ، فكيف نفسر اذن شمولية تعلق عامة الناس الاسبانيين بالدين وتمسكهم به الى حد المغالاة والتعصب له والدفاع عنه ضد « أعداء الدين المسلمين » ؟

ألم يطلب الفلاح مرتان (A. Martin) والذى أبقى المال الكافى ، اقامة قداس بـ 110 صلاة تتلى على روحه بعد وفاته (6) ، كذلك لورنزو برتينى (Lorenzo Bertini) الذى أنشا سنة 1530 كنيسة خاصة ، قد نص فى حياته على « اقامة صلاة قداس يومية من يوم وفاته ، هذا فضلا عن اقامة 300

---

(2) Lucien Febre, **Le problème de l'incroyance au XVI[e] siècle**, p. 317, Paris, 1947.

(3) المصدر نفسه ، ص 370 .

(4) B. Bennasser, **L'homme espagnol, attitude et mentalités du XVI[e] au XIX[e] siècle**, p. 58, Paris, 1975.

(5) Jean Perez, **L'espagne du XVI[e] siècle**, p. 41, Paris, 1973.

(6) B. Bennasser, **Valladolid et ses campagnes au XVI[e] siècle**, p. 382, Paris, 1967.

صلاة في الثلاثة أيام الاولى لوفاته في مختلف كنائس واديرة بلد الوليد » (7) ، كما نلاحظ من جهة أخرى ان الموسرين من التجار الاسبانيين أمثال برو هارننداز بورطيو (P. Hanandez Portillo) والذى يمثل أحد وجوه القوم ببلد الوليد قد طلب اقامة 1800 صلاة بجميع الاديرة والكنائس لدى مماته (8) ، وحتى الاشخاص الذين أعلنوا افلاسهم أمثال انطونيو فارننداز (Antonio Fernandez) من قرطبة ، لم يمنعه ذلك ان يطلب اقامة 3000 (نعم ثلاثة الاف) صلاة لروحه وروح آبائه والاشخاص المقربين اليه (9)

ويمكننا ان نعد عشرات من هذه الشواهد التى تعكس ارتباط الناس بالدين وتعلقهم به وتفانيهم فيه ، وانه من المستحيل ان لا نأخذ بالاعتبار هذه الخلفية الدينية للمجتمع الاسباني كأفراد وكزعماء وكملوك اذ أنهم تساووا فى ذلك تأثرا وتأثيرا

على أن هناك محكا آخر تبلور فيه هذا الارتباط الدينى وهذه الغيرة والحمية المشطتان للزعماء والرعايا ، تتمثل فى تلك الملاحقة التضييقية الخيالية للموريسكيين ومراقبتهم والوشاية بهم ومحاكمتهم على أيدى دواوين التحقيق اذا ما لوحظت أبسط الظواهر لممارسة دينهم أو لعدم تنفيذ تعاليم الدين المسيحى الجديد الذى اعتنقوه مؤخرا كعدم وضع علامة الصليب فى غرفة النوم مثلا أو الجلوس على الارض عوض الكرسى أو أكل الكسكسى (10) أو عدم أكل لحم الخنزير أو شرب الخمر أو التفوه باى كلمة عربية ، وكانت هذه العلامات كفيلة بمحاكمة الموريسكيين (11) وانزال أشد العقوبات عليهم ، وحتى الاحتفالات المسيحية التى تقام على الطريقة الموريسكية ، كان ينظر اليها على أنها علامة لتشويه صفاء الدين المسيحى وحتى صيغ أداء الصلاة كانت موضوع تحرى دواوين التحقيق التى كان يعتبر عدم معرفتها احدى العلامات لسوء تطبيق المبادئ المسيحية وبالتالى علامة على التبعية للدين الاسلامى (12) ، وكذلك دفن موتى الموريسكيين وطريقة التكفين وحفر القبور ومكانها كانت من الظواهر التى أوخذ عليها الموريسكيون وحوكموا من أجلها

---

(7) المصدر نفسه ، ص 381

(8) B. Bennasser, L'homme... op. cit., pp. 59-60.

(9) المصدر نفسه والصفحة عينها

(10) Louis Cardaillac, **Morisques et Chrétiens, un affrontement polémique** **(1492-1640)**, p. 19, Paris, 1977.

(11) المصدر نفسه ، ص 22

(12) المصدر نفسه ، ص 32

ولقد تفنن المواطنون الاسبانيون في مراقبة الموريسكيين والوشاية بهم، ايمانا منهم ان مثل هذه التصرفات من شأنها أن تقوض المفهوم الصارم الذي فرضته الكنيسة والدولة لاحترام وحدة الدين المسيحي ومثاليته والذي يشكل فلسفة الوجود للفرد الاسباني في القرن السادس عشر

ان مثل هـذا التفاني للدفاع عن الديـن المسيحي من طـرف المواطنيـن العاديين هي ظاهرة تثير إهتمامنا وتجعلنا نذهب الى الاعتقاد بأن دور الجماهير الاسبانية كان فعالا حيث ساهمت هي الاخرى في بلورة السياسة الاسبانيـة ومنحتها الارضية السليمة في تعـزيز حركيتها الصليبيـة وتعميق رسالتهـا الدينية في العالم المعروف يومئذ.

وبعد ألـم تكن السياسة الخـارجية لفردنـاند داراقـون (Ferdinand d'Aragon) قد نصت على العمل على « اقامة السلم بين المسيحيين واعـلان الحرب على الكافرين » (13) وهذا ما يعكس ان الفكر الصليبي كان حيا ومغذيا لابعاد السياسة الاسبانية، خـاصة بعد انتصارهم في غرناطـة الذي شحـذ لديهم خلفيتهم الدينية ومنحهم شرعية محاربـة أعداء الدين في عقر دارهـم، واضعا بذلك اسبانيا على أبواب المغرب العربي على ان دراسة المراسلات السياسية للملوك الكاثوليكيين في هذه الفترة ولكل ما يتعلق بقضايا ومشاكل الايالات المغربية سوف تبرز لدينا الصبغة الدينية الصرفة (14) والتعصب المفرط والرغبة الشديدة لحمل المسلمين قسرا على اعتناق المسيحية ألم يعلن أيضا فرديناد الكـاثوليكي في كثيـر من المـرات أنه يكافح « من أجـل الله » ومحاربة أعداء الدين الكاثوليكي المقـدس، وانه شجع وجنـد الجيش لغـزو الساحل المغربي الاسلامي وأقـام بعد احتلال مدينة بجايـة أسقفيـة وكنيسة بوهران ؟ (15)

الم تنص الملكة ايزابيلا (Isabelle) في وصيتها بعد موتها « انه يجب

---

(13) Henri Lepeyre, **Les monarchies européennes du XVIᵉ siècle**, p. 382, Paris, 1967.

(14) Fernand Braudel, « Les Espagnols et l'Afrique du Nord de 1492 à 1577 », in **Reveuè Africaine, 1928, p. 199.**

(15) F. Elie de la Primaudie, « Documents inédits sur l'histoire de l'occupation espagnole en Afrique (1506-1574) » in, **Revue Africaine**, 1875, pp. 70-71.

(16 مكرر) H. D. Gammont, **Histoire d'Alger sous la domination turque (1515-1830)**, p. 5, Paris, 1887.

مواصلة فتح افريقيا وعدم الانقطاع عن المحاربة من أجل الدين ضد أعداء الدين ، ؟ (15 مكرر) او لم تكن وراء الحملة الاسبانية على وهران سنة 1509 مبادرة دينية هي فيالحقيقة والواقع نوع من الحروب الصليبية المستمرة ؟ (16). وكذلك ألم يخطط الكردينال زيمانس (Ximanes) لانتزاع المغرب من الاسلام وغرس المسيحية والحضارة مكانه وأنه بذلك ألهب جميع رجال الدينالاسبانيين والبابا (17) للمشاريع الهجومية على الاراضي الافريقية وملاحقة المغاربة ؟

«عندما احتل مرسى الكبير سنة 1509 أقام صلاة جماعية بعد أن حول المساجد الى كنائس (18) وقد أحدث هذا النصر الكبير موجة عارمة من الفرح والسرور ، وقد سلمت الاوامر باقامة الافراح العمومية والصلوات خلال ثمانية أيام (19) ثم ألم تهلل أوروبا المسيحية لاحتلال طرابلس الغرب سنة 1510 من طرف الجيوش الاسبانية ، وتم على اثرها بروما تنظيم موكب ديني (20) وتبودلت التهاني بين دوج البندقية وملك اسبانيا ونائب الملك بصقلية وتهنئة المرشد الاكبر في رودس بهذا النصر ، حاثا الملك بمواصلة حملاته ضد افريقيا حتى مصر وذلك خدمة لله في هذه المهمة السامية ؟. وكان الاسبانيون يباهون باحتلال طرابلس الغرب باعتباره حدثا سعيدا وانتصارا للمسيحية باسرها (21)

وقد استمر هذا الصراع عنيفا خلال الربع الاول من القرن السادس عشر على سواحل المغرب الاسلامي ، غير أنه سيشتد ويصبح أكثر عنفا وهجوما

---

(16) F. Braudel, Les Espagnols... op. cit., pp. 199-200.

يذكر المؤلف ان الكردينال زيمانس قد طلب من رجال الدين الاسبانيين مده بالمساعدة لتنظيم الحملة على وهران وقد نجح في تجهيز اسطول وجيش بفضل مختلف المساعدات التي وردت اليه ، وان رجال الدين ذهبوا حتى الى بيع كنائسهم واثاثهم المنزلي وادواتهم الفضية من اجل ذلك.

(17) F. Braudel, Les Espagnols... op. cit., p. 201.

يذكر ان ملك اسبانيا بالاتفاق مع البابا قد فرض اداء استثنائيا على المواطنين اطلق عليه لاكروزادا (La Cruzada) اى الصليبية

(18) H. D. Grammont, op. cit., p. 83.

(19) المصدر نفسه ، ص 8

(20) رويسي اتوري ، ليبيا منذ الفتح العربي حتى سنة 1911 تعريب وتقديم خليفة محمد التليسي ، ص 146 ، بيروت ، 1974.

(21) المصدر نفسه ، ص 152

بظهور العثمانيين كقوة اسلامية صاعدة ومشاركتهم الحاسمة في مصيرية الشعوب الاسلامية مشرقا ومغربا والدفاع عنها والعمل على انقاذ الموريسكيين (22) بتوفير شتى المساعدات اليهم وتقوية جانب المسلمين على سواحل الايالات المغربية ورد الهجوم الاسباني واحباط مخططاتهم وملاحقتهم ، وهذا ما فسر من طرف القادة الاسبانيين على أنه تهديد مباشر لسلامة الاراضي الاسبانية وبالتالي يمثل خطرا على الوحدة الروحية للمسيحية

ولدى تولى شارل الخامس العرش ، وهو الذى تلقى تعليما وتربية مطبوعين بطابع الولاء الديني ، ورث تبعية هذه المسؤولية التاريخية الشاقة والتى لا يستطيع أن يحيد عنها وهى المتمثلة فى العمل على « اقامة السلم بين المسيحيين واعلان الحرب الصليبية ضد الكفار ، ولم يكن الموضوع يومئذ يتعلق بانشاء وتوسع المملكة العالمية ولا بالفتوحات » (23) . لقد كان شارل الخامس يحس بالوازع الالاهي للدفاع والحماية المسيحية ، هذا الامر الذى لا بد أن يسمو عن سفاسف القضايا السياسية خاصة وان الدول المسيحية جميعها وجب عليها ان تتحد لمحاربة العثمانيين المسلمين. وقد ذهبت به حميته وغيرته الدينية ان يتصور فتح القسطنطينية من جديد وإعادة وحدة الامبراطوريتين الغربية والشرقية لوضع حد لانتهاكات السلاطين العثمانيين ، هذه الوحدة التى ستتوج عرشه بالنصر الخالد ، نصر الكنيسة والمسيحية (24)

ان هذه الحمية الدينية المتاصلة فى شارل الخامس ، هى التى كانت تبلور سياسته والتى كان محورها الاساسى فى نظرته ورؤيته ، وحدة العالم المسيحي التى لا تنفصم ، وحيث كان يعتبر نفسه المسؤول والحارس الاول عن سلامة العقيدة المسيحية (25) ، وهذا ما جعله يعتبر الاسلام والمروق

---

(22) راجع دراستنا « رسالة من مسلمى غرناطة الى السلطان سليمان القانونى سنة 1541 .

راجع أيضا الدراسة التالية

Andrew C. Hers, « The Moriscos : An Ottoman Fifth Column in Sixteenth Century Spain », in, **The American Historical Review,** Vol 74, octobre, 1968, pp. 1-25.

(23) Ranon Menendez Pidal, « Formacio'n Del Fundamental Pensamienta Politico De Carlos V », in, **Charles-Quint et son temps,** pp. 1-8, Paris, 1959.

(24) Hugo Hantsch, « Le problème de la lutte contre l'invasion turque dans l'idée politique générale de Charles-Quint» in, **Charles Quint et son temps,** p. 55, Paris, 1959.

(25) المصدر نفسه . ص 56

البروتستنتي يهددان المسيحية برمتها وان واجبه يتمثل في انقاذ المسيحية بدعوة الامراء الاوروبيين للاتحاد والمحافظة على الارث والثقافة الاوروبية ـ اللاتينية واصلاح الكنيسة (26)

وعندما طلب اليه المرشد الاكبر لفرسان مالطة (27) سنة 1524 ، منحهم جزيرة مالطة لاستئناف نشاطهم الصليبي ضد العثمانيين الذين استولوا على جزيرة رودس سنة 1522 ، أبدى شارل الخامس ارتياحه وموافقته لهذه الرغبة واشترط ان تقوم المنظمة بتنظيم الدفاع عن قلعة طرابلس ومدينتها ، وجاء في وثيقة المرسوم الملكي « رغبة منا في تدعيم الدير والمنظمة والهيئة الدينية لمستشفيات القديس يوحنا وتوفير امكانية الاستقرار وانطلاقا من محبتنا ومن العطف الذى نحمله لهذه الهيئة ،،، فقد قررنا » (28).

على أن التحرك العثماني في المغرب الاسلامي ونجاح خير الدين بربروسة في ربط الجزائر بالدولة العثمانية ونجاحه في اسقاط قلعة البينون الاسبانية سنة 1529 ثم فتحه لتونس سنة 1534 واعلان تبعيتها للباب العالي ، والتي كانت تمثل انتصارات متلاحقة ، جعلت شارل الخامس يتحرك ايمانا منه بأن

العثمانيين يمثلون تهديدا مباشرا « لأمن المسيحية ولممالك جلالته » (29) ، باعتبارهم « أعداء عقيدتنا الكاثوليكية المقدسة » (30) وعليه فقد أعد

---

(26) J. Perez, op. cit., pp. 69-70.

(27) كان اساس هذه المنظمة بادىء الامر دينيا ، وقد تولت قبل الحروب الصليبية رعاية احد الملاجىء في القدس ومساعدة المعوزين وخاصة الحجيج المسيحيين القاصدين البلاد المقدسة الا إن المنظمة تحولت في زمن الحروب الصليبية الى منظمة دينية تقوم بالاضافة الى الطابع الخيرى الذى اتصفت به ، بمهام عسكرية ، وقد ساهموا في الدفاع عن الاراضي المقدسة ضد المسلمين وحيث تمكن صلاح الدين الايوبي من طردهم نهائيا منها وقد انسحبوا بعد ذلك الى جزيرة قبرص واحتلوا جزيرة رودس سنة 1308 والجزر المجاورة مقيمين فيها دولة تحت حماية البابا والامراء المسيحيين ، راجع اتورى روس ، نفس المصدر ، ص 158

(28) المصدر نفسه ، ص 160

(29) Elie de la Primaudie, op. cit., p. 494.
حول الاتفاقية التي عقدها شارل الخامس مع باى تونس بتاريخ 23 جويلية 1535

(30) المصدر نفسه ، ص 497
رسالة من شارل الخامس الى قائد بجاية بتاريخ 23 جويلية 1535

« جيشا قويـا من المسيحيـين » (31) لانزال عقـاب بخير الديـن بربروسـة والاطاحة به ، ومؤمنا أن حملته ستكون آخر حملة صليبية (32) وقد وفر لـه « بارون قشتيلة 700 خيال مسلحين حرصا منه على المحافظـة على (الحروب) الصليبية القديمة » (33)

وعندما حل شارل الخامس بتونس في صيف 1535 ودخل البلاد منتصرا اهتز العالم المسيحي كله فرحا واستبشارا بهذا الانتصار (34) وقد فـرض شارل الخـامس على مـولاي الحسن ، الملـك الحفصي معـاهدة نصت على ان « الملك الحفصي وكذلك خلفاءه وورثاءه سيعملون من الآن فصاعدا والى الابد، بالسماح للمسيحيين بالقدوم والعيش والاقامة بمملكة تونس ، على أن يبقوا أوفياء لعقيدتهم المسيحية دون أن يعكر عليهم الجو أو يزعجوا بصورة مبـاشرة او غير مبـاشرة ، كما أن كنائس هـؤلاء المسيحيين التابعـة لرجال الدين أو غيرهم وجب العناية بها وترميمها بدون أي معارضة ولا مانع وأنه باستطاعتهم تأسيس أو بناء كنائس أخرى وفقا لرغبتهم لنسكهم وورعهم في الاماكن التي يقطنونها . وبالاضافة الى ذلك فان الملك الحفصي لن يقبل في مملكته أحدا من العرب الاندلسيين (المـوريسكيين) الذين اعتنقـوا أخيرا الدين المسيحـي ، باعتبارهم رعايا جلالته الامبراطورية سواء أكانوا من بلنسية أو غرناطة أو أي مكان آخر من مملكته ، وان الملك الحفصي لا يسمح لهم بالقـدوم ولا بالاقامـة (بتونس) ، بل على العكس من ذلك يطردهم من مملكتـه ويرحلهم تماما عـن طريق ضباطه ويعتبرهم دوما كأعداء » (35)

ثم ألم يحصن قلعة حلق الوادي تحصينا منيعا لتكون وسيلة لاستحكـام أمر الإسبانيين ومراقبتهم الحفصيين والعثمانيين على حد سواء ، تلك المراقبـة التي ستخدم مصالح الامبراطورية والدين المسيحي ؟

---

(31) المصدر نفسه ، ص 135 ، سنة 1875
نلاحظ من نص المعاهدة المعقودة بين شارل الخامس والملك الحفصي بتاريـخ 6 اوت 1535 استعمال لفظ المسيحيين بدل الاسبانيين مثلا وهذا ما يعكس الصبغة الدينية التي تتحكم في كل فعاليات الحياة الاسبانية على العموم .

(32) A. I. Andrews, **The campaign of the Emperor Charles V against Tunis and Kheireddine Barbaressa**, p. 72, thèse dactilographiée, Harvard University, 1905.

(33) المصدر نفسه ، ص 111

(34) Salvator Bono, **I Corsari barbareschi**, p. 20, Rome, 1964.

(35) Elie de la Primaudie, **op. cit.**, p. 136, Année 1875.

هذه هي أهم محاور التحرك الاسباني ملاحقة أعداء الدين دون هوادة والقضاء عليهم ولم يكن الامر متعلقا بالتجارة أو ضم ممالك جديدة للامبراطورية الاسبانية وهذا بالنسبة للايالات المغربية على الاقل ، بل ان الخلفية الدينية كانت الحافز الاساسي لاحتلال تونس وبقية السواحل المغربية، ولا ننسى في هذا الاطار مدى العنف والحقد الذى أظهره الجنود في استباحتهم مدينة تونس وخاصة جامع الزيتونة الذى تعرض لأكثر من حركة استفزازية . وقد عين شارل الخامس دومندوزا أحد الفرسان المسيحيين قائدا على قلعة حلق الوادى (36)

على ان الاستقبال الضخم الذى حظي به شارل الخامس بمسينا بايطاليا وأقواس النصر التى علقت عددا من الكتابات المثيرة تعكس هي الاخرى مدى الامتنان الذى أحس به المواطنون المسيحيون في محاربة أعداء الدين المغاربة والانتصار عليهم وامكانية مراقبة كل التحركات بفضل هذه القلاع التى أقامها الاسبان على الساحل المغربي ، وكذلك أيضا نشر الدين المسيحي الذى يعتبر المثل الاعلى لعدد من القادة وقد كتب قائد المرسى الكبير « منذ اقامتي هنا اعتنق ستة عشر نفرا من العرب الدين المسيحي وأكثر من خمسين نفرا كانوا قد أسروا قد تعمدوا على أنه في كل المدينة لا يوجد رجل دين باستطاعته ان يلقنهم بلغتهم كلمة ديننا ، وهذا ما تسبب لنا ان ثلاثة أو اربعة أنفار من هؤلاء الذين اعتنقوا الدين المسيحي قد توفوا دون أن يقوموا باعترافاتهم . انني أقوم بواجبي راجيا من جلالته ان يتخذ الاجراءات التى يراها مناسبة لخدمة الرب وكذلك لخدمته هو » (37)

ان تعميد المغاربة قهرا واتخاذهم عبيدا بعد أسرهم اثر عمليات الاحتلال الاسباني لمدن الساحل المغربي ، نجد صدى لها في بعض المصادر (38) ، من ذلك تعميد أحد الاطفال الاتراك في سن الثانية عشرة وكذلك أحد العرب، كانا قد أسرا أثناء الاحتلال الاسباني لحلق الوادى (39) وان تعميد المسلمين أو الهنود

(36) L. Poinssot et R. Lantier, « Les Gouverneurs de La Goulette durant l'occupation espagnole (1535-1574) », in, **Revue Tunisienne, 1930**, p. 222.

(37) المصدر نفسه ، ص 30 ، سنة 1877

من تعليمات الكونت دلكودات (C. D'Alcaudette) الى قارسيا دو نافارو (Navaro) قائد المرسى الكبير بتاريخ 1535

(38) على الرغم من ندرة المعلومات المتوفرة اليوم حول هذا الموضوع ، فان دراسته بالاستناد الى الوثائق المخطوطة الموثوقة في دور اسبانيا وايطاليا ، ستعكس جانبا جوهريا من الصراع الديني للتحرك الاسباني في القرن السادس عشر

(39) Pierre Chaunu, **L'Espagne de Charles-Quint**, t. 1, p. 336, Paris, 1973.

الامريكيين كان يشكل اهم المهام وأنبلهـا للكنيسه (40) ، وان اشبيليـا قـد وضعت تعميد العالم في نفس مرتبة اكتشاف الذهب (41)

هذه الخلفية الدينية التي كانت تسيطر على الحيـاة السياسية اثناء حكم شارل الخامس هي التي سيرثهـا فليب الثاني والذي سيمنحها بعـدا جديـدا وبشكل متواصل لتصل في معركة لابنتي (Lépante) اوجها وذروتهـا ، وان سياسة فليب الثـاني كانت مستوحاة من ايمانـه المطلق بالديـن المسيحي الكاثوليكي . وقد صرح بانه يفضل اتلاف املاكه ومائـة حياة لو منحت لـه ، عن السماح باتباع طريق خاطيء للدين (42) ، ثم ألم يعتبر ان قضية الديـن المسيحي هي قضية اسبانيا وان أمـر الدفاع عنـه قد ولد حتما نـوعا مـن الامبريالية الاسبانية على المنطقة (43)

ولكن كيف يتسنى للملك فليب الثاني ان يكون وفيا لهذه الروح الدينية وأوروبا غير موحدة الهدف وتتبع سياسة متباينة تماما مع العثمانيين والذين وجب ان يكونوا العدو الاول لأوروبا المسيحية

الا أن معاهدة كاتو كمبريسيس (Cateau Cambresis) بتاريخ 2 و 3 افريـل 1559 والتي عقدت بين اسبانيـا وفرنسا وانقلتـرا وضعت حـدا للتناقضات السياسية الصارخة بين هاته الدول ولتجعل منها دولا ذات غايات موحدة تقريبا ومناخا سلميا (44) وأصبح باستطاعة اسبانيا تحويل اهتمامها الى الخطـر الاساسي الخـارجي والمتمثل في هـذا التوسع المخيف للعثمـانيين وبحارتهم في حوض البحر الابيض المتوسط والذي يهـدد ليس فقط النظـام السياسي والاقتصادي والتجاري لجنـوب القـارة الاوروبية ، بل أيضا الدول المسيحية على الاطلاق وقد عبر فيليب الثاني عن هذه المشاغل في رسالة كان

---

(40) المصدر نفسه ، ج 2 ، ص 436

يذهب منشوكور (Montchicourt) في كتابه

L'expédition espagnole de 1560 contre l'île de Djerba.

ص 103 ان سبعة عبيد زنـوج قد فروا من سيدهم والتجأوا الى نائب الملك الاسباني وطلبوا تعميدهم ، غير ان الدوك قد اعادهم الى سيدهم

(41) J. Perez, op. cit., p. 87.

(42) H. Lepeyre, op. cit., p. 352.

(43) J. Perez, op. cit., p. 73.

(44) F. Braudel, La Méditerranée et le monde méditerranéen à l'époque de Philippe II, t. 2, p. 279, 2e édition, Paris, 1966.

قد وجهها الى دوق فلورنسا « برضاء من الله تمت المعاهدة واقامة السلم مع المسيحي الغيور الملك الفرنسي فقد بدا لي أنه طاعة لله وخدمة للدين المسيحي ، وحتى لا تبقى جميع السفن التى تحت امرتى بايطاليا عاطلة عن التحرك خلال هذا الصيف فاننا سنستعملها للقضاء على القراصنة لنضمن الحرية البحرية وعلى هذا الاساس فقد أذنت بالحملة على طرابلس الغرب » (45)

ان الذى كان يحث الملك للقيام بحملة على طرابلس الغرب ويعتبرها أمرا عاجلا وضروريا وان عدم القيام بها سيعرض جميع المسيحيين للاذلال المهين (46) هم فرسان مالطة ونائب الملك بصقلية غير ان الحملة التى تحولت الى جربة انتهت بنكسة مأساوية كان من اثارها المباشرة شعور الدول الاوروبية بحتمية اتحادها لمقاومة الاسلام والعثمانيين ، وقد فرض من جديد على اسبانيا واجب القيام برد فعل حازم وفعال لوضع حد للتوفق والانتصارات العثمانية ـ الاسلامية في الحوض المتوسط

ولم تتأخر أولى الفرص لذلك حيث دافع فرسان مالطة عن جزيرتهم بكل بسالة ضد العثمانيين (47) مؤمنين بأن دفاعهم هذا خدمة للمسيحية بأسرها وقد ترددت الصلوات احتفاء بهذا النصر « من الآن والى مائة الف عام سيستحق ملك اسبانيا الاكبر فليب الثانى الشهرة والتقدير كما سيستحق صلاة (الشعوب) المسيحية لروحه » (48)

وقد مرت اسبانيا بعد ذلك بثلاث سنوات بازمة جديدة كان مدارها التحرك الثورى الاسلامى بغرناطة سنة 1568 ـ 70 (49) ومدى نجاعة التدخل الاسلامى وخاصة من طرف كليج على باشا بيلرباى الجزائر لمساعدة هؤلاء اليائسين الغرناطيين على ان الاصرار والصبر الذى أظهروه عمق ولا شك

---

(45) المصدر نفسه ، ص 282

(46) روسى ، نفس المصدر ، ص 191

(47) راجع بالخصوص الدراسة التى نشرها الاستاذ خليل الساحلى « وثائق عن المغرب العثمانى اثناء حرب مالطة سنة 1565 » المنشورة بـ **المجلة التاريخية المغربية** ، عدد 7 و 8 ، ص 40 ـ 60

(48) F. Braudel, **La Méditerranée... op. cit.**, pp. 324-325.

(49) راجع دراسة الدكتورة ليلى الصباغ « ثورة مسلمى غرناطة عام 976 هـ او أواخر عام 1568 والدولة العثمانية » بـ **مجلة الاصالة** ، عدد 27 ، ص 116 ـ 175 الجزائر ، 1975

الخط الهجومي الصليبي لدى القادة الاسبانيين ضدهم وجعلهم أكثر عنفا وقسوة لتصفيتهم واجتثاثهم والقضاء نهائيا على هذه المخلفات الاسلامية التي تهدد صفاء الدين المسيحي في عقر داره ، كما أن هاته الخرب قد هيجت هذه الخلفية الدينية وغذتها من جديد للتضييق على المسلمين اينما كانوا وقد كان فليب الثاني حريصا كل الحرص على كتمان نجاح هذه المبادرات الحربية الثورية الاسلامية خوفا من وصولها الى القادة العثمانيين ، وقد كتب الى الدوك دلقاد (Duc D'Alcade) نائبه بنابولي بتاريخ 20 جانفي 1569 « انه من المفيد ان نحافظ على سرية قضية غرناطة حتى لا يصل الخبر الى القسطنطينية وأن تسرع في تحريك الاسطول » (50)

ان القضاء على ثورة الموريسكيين بغرناطة وانتصار المسيحية قبل ذلك في مالطة قد هيج البابا والملك الاسباني لبعث الرابطة المقدسة بين الدول الاوروبية ضد العثمانيين ، وقد سعى البابا بي الخامس (Pie V) لاثارة الفكر الصليبي مصرحا « لن أتخلى عن واجباتي التي تفرضها على صفتي كأب مشترك للمؤمنين وقبل أن التحق بربي ، سأستعمل كل الوسائل الانسانية لوحدة القوى المسيحية ضد أكبر عدو للديانة المسيحية » (51)

هذه الخلفية الدينية الهجومية هي التي كانت وراء اسطورة الفكر الصليبي في معركة لابنتي سنة 1571 والتي وحدت بين الدول الاوروبية في معركة بحرية ضد العثمانيين وكان على رأس الاسطول المسيحي أخو الملك غير الشرعي جون دوان دتريش (D. Juan d'Autriche) وقد عد المسيحيون هذا الانتصار انتصار الصليب على الهلال (52) ، وهللت له كل

---

(50) F. Braudel, **Les Espagnols... op. cit., p. 398.**

(51) H. Lepeyre, **op. cit., p. 260.**

(52) استمر عدد من المؤرخين الاوروبيين في تفسير تاريخ الغرب مع الشرق على انه صراع صليبي بين الهلال والصليب ونجد صدى لذلك في مقدمة كتاب
Edouard Driault, **La question d'Orient depuis ses origines jusqu'à la paix de Sèvres (1920), 479 p. 8e édition, Paris, 1921.**
حيث يؤكد ص IX على ان تاريخ الغرب مع الشرق هو عبارة عن « صليبية جديدة منتصرة هذه المرة من الصليب على الهلال وهذه الصليبية تكتسي صيغا جديدة حتمتها شروط الحضارة الحديثة وضعف الايمان ويقول في فقرة تالية ص XI « ان هذا التقدم الذي تحققه اوروبا المسيحية ضد الاسلام هو بالفعل صيغة جديدة للصليبية »

أوروبا وأقامت الاحتفالات الضخمة المتوالية (53) ، غير مصدقة أنّها لأول مرة تحقق انتصارا بحريا يشرف المسيحية ويضع حدا لتطاولات المسلمين في البحر الابيض المتوسط وقد غذى هذا الانتصار روح صلبية قائدها الذي فكر في الحال ، حالما باسترجاع الاراضي المقدسة وحتى القسنطينية من المسلمين ثم ألم يقترح على فليب الثاني احتلال تونس في ربيع السنة الموالية واحتلال الشرق في الصيف والجزائر في شتاء نفس السنة ؟ (54)
غير أن فليب الثاني والذي كانت مواقفه وتحليله للوضع يخضع لوضع الامبراطورية الاقتصادي والسياسي ، كان يرى ان « القيام بحملة على الجزائر سيرجع بالفائدة على المسيحية عموما » (55)

وقد تحولت أنظار دون جوان دتريش بعد ذلك لاحتلال تونس سنة 1573 وانتزاعها من العثمانيين وقد تم له ذلك بسهولة ويسر ، خاصة وان الملك فليب كان يعلق على قلعة حلق الوادي « أسمى الاهداف بادخال الديانة المسيحية الى المغرب وهذا هو السبب الذي جعل الملك المتدين والورع على الرغم من حرصه للمحافظة على كل المراكز والقلاع الصالحة للدفاع عن المسيحية ، وهذا ايمانا منه وتحت تأثير مجلسه الديني وعدد من الامراء الاسبانيين والايطاليين ، فانه لم يظهر اهتماما قدر اهتمامه لقلعة حلق الوادي » (56) ، وقد عدت قلعة حلق الوادي كاجمل واحصن قلاع المسيحية على الاطلاق (57)

وقد أحل الجيش لنفسه نهب المدينة اثر عملية الاحتلال ، غير ان الذي تجب ملاحظته هو انتهاك حرمة جامع الزيتونة وقلع سواريه الرخامية الجميلة

---

(53) لقد احتفلت اسبانيا مؤخرا بمرور 400 سنة على هذا الانتصار ، واقيمت احتفالات وطنية تخليدا لهذه الذكرى التاريخية في كامل البلاد وقد دعا الاستاذ دى ابلزا De Epalza مواطنيه المؤرخين وكذلك الشعب الاسباني ان يعيدوا تقييم موقفهم من هذه الحادثة وانه وجب تجريدها من كل المفاهيم العدائية الدينية والتي ورثت عن عهد اصبح ينظر اليه على انه صفحة تاريخية راجع

راجع

M. De Epalza, « Le centenaire de la bataille de Lépante vu par les Espagnols », in, **Les Cahiers de Tunisie, n^os^ 77-78, pp. 225-229, Tunis, 1972.**

(54) F. Braudel, **La Méditerranée... op. cit., p. 397.**

(55) المصدر نفسه ، ص 408

(56) Paul Sebag, « **Une relation inédite sur la prise de Tunis par les Turcs en 1574** », in, **Les Cahiers de Tunisie**, n^os^ 65-66-67, p. 131, Tunis, 1969.

(57) المصدر نفسه ، ص 203

وحملها الى « الاراضى المسيحية » (58) ولا شك ان كل هذه التعبيرات تعكس مدى نوعية السلوك والتفكير الذى كانت تتسم به عقلية المسؤولين وحتى الجنود

وعندما تمكن العثمانيون فى صيف 1574 من فتح قلعة حلق الوادى وشددوا الحصار على قلعة تونس أيضا أهاب أحد قادة الجيش للدفاع عن مراكزهم مصرحا فيهم « اننى اعرف جيدا قيمة كل فرد منكم ولكن أعرف أيضا خطورة وضعنا ، وجب علينا ان ندافع وكأن هذه الارض وطننا وأنه يتحتم علينا الدفاع عن منازلنا وعائلاتنا وثرواتنا وبكلمة أخرى وجب الدفاع عن سمعة المسيحية » (59)

انه بدون هذه الخلفية الدينية لا نستطيع ان نفهم أبعاد الحركية السياسية المسيحية الاوروبية فى القرن السادس عشر تجاه الايالات المغربية والعثمانيين، وبدونها نكون قد جردنا أحداث القرن السادس عشر من محتواها الاصلى العميق ، وحيث يستحيل علينا ان نعلل هذا الغليان وهذا التعصب وهذه الاستماتة اليائسة فى محاربة المسلمين طوال القرن السادس عشر على الخصوص . ان هذه الخلفية الدينية الاسبانية تعتبر المحور الاساسى التى انبثقت عنه كل التحركات العسكرية ووجهتها وجهة مؤلمة ومأساوية ، اصطبغت بفكر صليبى أكثر خطورة وضررا من الفكر الصليبى الذى ساد فى القرون الوسطى (60)



ما هى الخلفية التى وجهت تحركات العثمانيين وحددت مواقفهم المختلفة لدى تدخلهم فى مصيرية وأحداث الأيالات المغربية خلال القرن السادس عشر ؟

---

(58) المصدر نفسه ، ص 144

(59) المصدر نفسه ، ص 216

(60) راجع نقد كتاب هنرى كمان Henri Kamen
L'Histoire de l'Inquisition espagnole, Paris, 1966.
من طرف Yvette Trénard فى مجلة
L'information historique, n° 5, p. 230, novembre-décembre, 1967, Paris.

هل كان العامل الديني أساسيا في تكوين هذه الاحداث أم كانت هناك خلفيات اخرى جرص العثمانيون على تحقيقها ؟

ان المتتبع لعملية التوسيع العثماني بالاناضول منذ فتح القسطنطينية ثم توغل العثمانيين في القارة الاوروبية وقيام السلطان سليمان القانوني بحملاته العديدة على جميع الجبهات الاوروبية قد أضفى ولا شك على هذا التحرك طابعا دينيا بادىء الامر ، غير أنه بمرور الزمن وبفعل الوجود الاداري والسياسي العثماني في هذه المناطق ، اكتسى طابعا جبائيا وتجاريا واذا كان فتح الشام ومصر(60 مكرر) يخضع لرؤية عثمانية بتامين الضفة الجنوبية للامبراطورية العثمانية السنية الناشئة من عدوتهم الدولة الصفوية الشيعية (61) فانه من جهة أخرى لا نغفل ان التهديد البرتغالي للبلاد العربية الجنوبية قد وصل مداه وان شرفاء مكة والمدينة أبرقوا الى السلطان سليم يستنجدونه (62) . ان الحاق الشام ومصر ، المنطقة ذات الاهمية الجغرافيــة الحساسة الى البلاد العثمانيـة ، تبدو على ضوء ذلك ، خطة استراتيجية عسكرية كان السلطان سليم يهـدف بها الى افنساح المجال للعثمانيين بتخطيط عسكري واع ويقـظ لمجابهة خطـر التحـالف الاوروبي ـ المسيحي الـذى يهـدد ليس فقط الخطـوط التجاريـة التقليدية ، بل أيضا البـلاد الاسلامية ، وان من النتائـج المبـاشرة لـزحف العثمانيين على اوروبا أن تراجع التهديد بالحرب الصليبية على البلاد العربيـة انطلاقا من البحر الابيض المتوسط (63) ، ولم يكن الامر يتعلق بمجرد فتـح أراضي جديدة وتوسيع الامبراطورية ، ولو كان الامر كذلك لما وقف السلطان سليم عند حدود مصر ، بل لواصل زحفه حتى بـلاد المغرب التى كانت تعيش وضعا اداريا وسياسيا واقتصاديا سيئا جدا ، كان يسهل معه القضاء عليهـا دون مجابهة كبيرة .

(60 مكرر) تكاد تجمع الدراسات التاريخية لزملائنا بالمشرق على نعت الفتح العثماني بالغزو او الاحتلال بطريقة اعتباطية وبدون تدعيـم تاريخي توثيقي وخاصـة استعمـال الوثائـق العثمانية هـذا فضلا عن عدم تمتعنا برؤية ونظرة جديدة للتاريـخ العثماني ، تجتمعهـا النزاهة العلمية ومتطلبات البحث الاكاديمي

(61) الرافعي ، محمد عبد المنعم السيد ، الغزو العثماني لمصر ونتائجه على الوطن العربي ، راجع الملحق الاول المتعلق بنظريـة المؤرخ توينبـى حول هـذه النظريـة ، ص 435 ـ 447 ، القاهرة ، 1972

(62) Halil Inalcik, « The rise of the Ottoman Empire », p. 318, in *The Cambridge History of Islam*, t. 1, Cambridge, 1970.

(63) المصدر نفسه ، ص 317

ان نجاح العثمانيين فى رفع لواء الاسلام وحرصهم للدفاع عنه ومحاربتهم اعداء الدين ، قد كساهم هالة من التقدير والاعجاب فى عين العامة ، وهذا ما جعل الجاليات المغربية بالشام وخاصة بمصر ترفض محاربتهم فى المعارك الفاصلة بينهم وبين المملوكيين باعتبار ان العثمانيين مسلمين (64)

واذا تحولنا الى المسرح السياسى بالمغرب العربى ومدى نشاط الاخوين عروج وخير الدين فى الدفاع عن سواحل المغرب ضد التحالف التقليدى بين الاسبانيين والعروش الحاكمة يومئذ ، فاننا نلمس مدى تطلع وحرص المغاربة الى تكتيل مساعيهم مع البحارة العثمانيين فى محاولة منهم لانقاذ البلاد من السقوط فى أيدى الاسبانيين ، الشىء الذى جعل الجزائريين يوجهون الى السلطان سليم الاول رسالة يطالبون فيها الحاقهم بالدولة العثمانية وتعيين خير الدين بربروس بيلرباياً عليهم واستنهاض الباب العالى لتفهم وضعهم الدقيق (65) ، وهذا ما جعل السلطان سليم يسارع بتقديم النجدة وأرسل الفى انكشارى مع عتاد حربى

أن سرعة استجابة السلطان سليم لنداء المواطنين يعكس مدى اهتمام القادة العثمانيين بتوسيع مجال المجابهة المحلية وتغذيتها ضد أي خطر يهدد المجموعة الاسلامية ببلاد المغرب، فضلا عن توسيع تأثير الامبراطورية العثمانية وامتداد رقعتها حتى مشارف الحدود الاسبانية وقد نشط خير الدين بربروس ، نتيجة لهذا التأييد ، فى ارساء قواعد الايالة الجزائرية العثمانية ، وتثبيت أركانها ، وقد نجح فى تكتيل كل قوى المواطنين لاحباط تحدى الاسبانيين بعد ان قضى على قلعتهم الحصينة « البينون » بميناء الجزائر ، كما أعطى بعدا جديدا ، غذاه الموريسكيون الوافدون على الجزائر ، من أجل هذا الصراع الدموى الذى واجهته البحرية العثمانية الاسلامية مع البحرية الاسبانية المسيحية

---

(64) بن ایاس ، محمد بن احمد ، بدائع الزهور فى وقائع الدهور تحقيق محمد مصطفى ج 5 ، الطبعة الثانية ، ص 137 جاء فى ردهم على السلطان المملوكى الذى دعاهم الى ارسال الف مغربى لتعزيز الجبهة ضد العثمانيين « نحن ما لنا عادة نخرج مع العسكر ونحن ما نقاتل الا الفرنج ما نقاتل المسلمين ، واظهروا التعصب للعثمانيين »
راجع لتحليل ابعاد هذا الموقف الدراسة القيمة التالية
الصباغ ، ليلى ، « الوجود المغربى فى المشرق المتوسطى فى العصر الحديث » المنشورة بـ : المجلة التاريخية المغربية ، عدد 7 و 8 ، ص 96 ، تونس ، 1977

(65) راجع دراستنا « اول رسالة من اهالى مدينة الجزائر الى السلطان سليم الاول سنة 1519 » بـ المجلة التاريخية المغربية ، عدد 6 ، ص 116 ـ 120 تونس ، 1976

ان اشتداد الحملات الاسبانية ـ المسيحية على السواحل والموانىء المغربية الاسلامية ومدى العنف الذى أظهرته الملاحقة الاسبانية لكل تحرك عثمانى فى البحر الابيض المتوسط وعلى الجبهات الاوروبية ، هذا فضلا عن الاصداء المروعة لمأساة الموريسكيين ، لا شك أن هذه العوامل وغيرها قننت لدى القادة العثمانيين ، باسم الخلافة الاسلامية التى يحملون لواءها ، شرعية الدفاع عن المسلمين ومساعدتهم واحباط مخططات اعدائهم واضفاء طابع « الجهاد » لكل تحركاتهم ونشاطهم ، هذا بدون ان يتهموا بالتعصب الدينى وخنق حرية العبادة بالنسبة للديانات الاخرى وخاصة المسيحيين الكاثوليكيين فى بلادهم وفى الاراضى التى فتحوها مؤخرا ، وهذا خلافا لروح التعصب التى سادت السياسة الاسبانية المسيحية ومناداتها بوأد أى حركة اسلامية فى داخل اسبانيا وخارجها

ان طبيعة الدين الاسلامى تفرض مبدأ عدم اكراه الآخرين على اعتناق الدين الاسلامى بالقوة ، ومبدا التسامح ، والا بما يفسر « حرية ممارسة الدين المسيحى الكاثوليكى باستنابول خلال القرن السادس عشر ؟ » (66) ووجود مختلف الفرق الدينية المسيحية التى استمرت تتعايش مع المسلمين وحيث لم يضطهدوا ، وانهم لم « يعاملوا معاملة سيئة على وجه العموم بل بقيت معاملتهم حسنة » (67) بل ان العثمانيين طبقوا نوعا من الحرية تجاه المسيحيين (68) وسمحوا لاتباع كالفن (Calvin) « بحرية التبشير فى هنغاريا وهذا ما يفسر اعتناق السكان فى المناطق الخاضعة للعثمانيين ، فى هنغاريا ، المذهب الكالفنى » (69)

وقد نصت جميع المعاهدات التى عقدها السلطان سليمان القانونى مع فرنسوا الاول على أنه « لكل ما يتعلق بالدين ، فانه وعد بشكل صريح للتجار وأعوانهم وخدمهم ولكل رعايا الملك عدم ازعاجهم أو محاكمتهم من طرف

---

(66) B. Bennasser et J. Jacquart, *Le XVI^e siècle*, p. 179, Paris, 1972.

(67) الصباغ ، ليلى ، المجتمع العربى السورى فى مطلع العهد العثمانى ، ص 139 ، وص 132 ، دمشق ، 1973 .

لا نعمم هنا ، بل هناك حالات مارس فيها السلاطين التعصب الدينى

(68) Lepeype, Les monarchies ... op.cit., p. 140.

(69) رافق ، عبد الكريم ، العرب والعثمانيون ، ص 82 ، دمشق ، 1974

القضاة أو سنجق الباي ...... وانه يسمح لهم بممارسة دينهم » (70) ، وحتى الرسائل الموجهة من السلاطين العثمانيين الى الملوك الاوروبيين كانت تضفي عليهم أسمى الالقاب وتقر بوجود الديانة المسيحية ، من ذلك خطاب السلطان سليمان القانوني للملك الفرنسي فرنسوا الأول « الى الامير الاكثر وقارا من كل الامراء ، الى رئيس موالي طوائف (الدين) المسيحي ، أكبر مصلح للمسيحية » (71) . أما السلطان مراد الثالث فقد خاطب هنري الثالث (Henri III) بقوله « أيها الامير المظفر من كبار أمراء الديانة المسيحية ومن أكبر وأقوى أتباع المسيح » (72)

ولم يقتصر تسامح العثمانيين على المسيحيين فقط بل تجاوزهم الى اليهود حيث تحسن وضعهم تحت الحكم العثماني وخرجوا من عزلتهم وتقربوا من السلاطين وأطلقت لهم حريتهم وقد تدفقوا على الامبراطورية العثمانية خاصة بعد طردهم من اسبانيا « وقد استقبلهم العثمانيون بحماسة وحفاوة ولا سيما أنهم كانوا يرافقون العرب المسلمين المهاجرين » (73)

وبالرجوع الى الواقع التاريخي المسيحي والاسلامي فان « المسيحية ، كما يقر بذلك المؤرخون ، هي على الاطلاق ؛ أقل تسامحا من الاسلام » (74)

أن موقف العثمانيين تجاه المسيحيين الذين يعيشون بين ظهرانيهم أو الذين تحالفوا معهم ، كان موقف التسامح والتحالف أما موقفهم من المسيحيين الذين أعلنوا « الحرب المقدسة عليهم » وحاربوا المسلمين والحقوا بالموريسكيين بالاندلس أشد ألوان التنكيل وعملوا على احتلال مدن الساحل الاسلامي المغربي ، فان موقفهم منهم كان شديدا وعنيفا ، شدة وعنف خصومهم

من أي منطلق كان العثمانيون يتحركون في الايالات المغربية ؟ هل كان ذلك من منطلق توسيع امبراطوريتهم « واحتلال أراضي جديدة واستعمارها »

---

(70) Le Baron I. De Testa, *Recueil des traités de la Porte Ottomane,* t. 1, p. 17, Paris, 1864. من نص المعاهدة التي عقدت بتاريخ شهر فيفري 1535

(71) المصدر نفسه ، ص 40 ، من رسالة بتاريخ اوائل ماي 1547 ، انظر ايضا ص 91 ، من رسالة بتاريخ 18 اكتوبر 1569

(72) المصدر نفسه ، ص 120 ، من رسالة بتاريخ 15 جويلية 1580

(73) الصباغ ، ليلى ، المجتمع ... نفس المصدر ، ص 130 ـ 131

(74) A. Howe Lylyer, *The Government of the Ottoman Empire in the time of Suleiman the Magnificent*, p. 68. 2ème édition, U.S.A., 1966.

كما يريد أن يقنعنا خصوم البحث التاريخي النزيه (75) ؟أم ان الامر يتعلق برد فعل تلقائي للاستغاثات التي ما فتىء المسلمون يوجهونها الى الدولة العثمانية ، طالبين منها النجدة ، خاصة وأنها أصبحت في عهد السلطان سليمان القانوني ، القوة الاسلامية الوحيدة القادرة على التحرك السياسي والعسكري على جميع الجبهات ؟

ان طبيعة الوثائق التي عثرنا عليها بأرشيف رئاسة الوزراء باستنابول بهي عبارة عن عدد من الرسائل التي وجهت الى القيادات العربية والعثمانية بكل من طرابلس الغرب وتونس والجزائر والمغرب الاقصى والتي سننشرها كملاحق لهذه الدراسة سوف تساعدنا على تحليل طبيعة موقف الدولة العثمانية تجاه أحداث الايالات المغربية والاهداف الحقيقية من وراء تدخلها الحاسم والفعال.

والذي يبدو لنا من أول استعراض لهذه الوثائق ، أن هناك محاور تدور حولها هذه الاوامر السلطانية وحيث ركزت الدولة العثمانية عليها اهتمامها وأثارتها تقريبا في جميع هذه الفرمانات ، ومن هذه المحاور اهتمام الباب العالي **بالبرايا والرعايا والعلماء والفقهاء ثم دفع الكفار عن البلاد ، واعلاء كلمة الله** واجراء **الشرع الشريف ، واعلان الجهاد** على الكفار والحرص على توفير **أمن الرعايا وراحتهم وحفظ البلاد وحراستها** (76) ، واصراره على الدفاع عن المسلمين **وتطبيق العدالة** في كامل أرجاء الامبراطورية ولم يرد ، في هذه الوثائق ، ذكر لأهداف توسعية اقتصادية أو تجارية عثمانية ، وأننا ننفي ، نتيجة لذلك ، أن يكون الباب العالي قد **خطط** لتدخل عسكري صرف في الايالات المغربية لغرض توسيع الامبراطورية وضم الاراضي اليها بل اننا نذهب الى الاعتقاد أن التدخل العثماني كان نتيجة لضغوط واشتداد النفوذ الاسباني ـ المسيحي على المنطقة من جهة ومن جهة أخرى لاستنجاد المواطنين والقواد العثمانيين من الباب العالي بمدهم بالمساعدة باعتبارهم مسلمين ورعايا

(75) لا يتعلق الامر بان يكون المؤرخ ضد الدولة العثمانية أو معها بل الامر يتعلق في نظري بنوعية البحث التاريخي وحصيلته ، وعلى الرغم من التهجم الشديد والتشويه الذي مارسه ويمارسه بعض المؤرخين فانني شخصيا لا اعرف الا القليل النادر الذي حاول الرجوع الى الوثائق العثمانية الام والاستفادة منها وحيث استمدت احكامه شرعيتها منها

(76) يكاد لا يخلو امر همايوني موجه الى القيادات العربية والعثمانية من ذكر هذه المحاور واذا كنا قد ركزنا على الوثيقة العربية الصادرة عن الدولة العلية لوضوحها وبليغ امالها ، فان الاوامر الصادرة عنها والمحررة باللغة التركية ، تتضمن تقريبا نفس هذه المحاور ، راجع مهمة دفتري الثلاثين الاولى حيث تكثر فيها ذكر هذه المحاور

عثمانيين في محاولة منهم لانقاذ البلاد من السقوط في يد اعدائهم وهذا ما يؤكد ان الخلفية الدينية للعثمانيين باعتبارهم يمثلون الخلافة والاخوة الاسلامية هي التي بررت تحركهم في منطقتنا ، بل ان هذه الخلفية الدينية هي التي جعلت الدولة العثمانية لم تخطط ، خلافا للآراء الشائعة ، للعمل على ضم المغرب الاقصى الى الامبراطورية ولم تطلب من ولاتها بالجزائر السعي الى ذلك وعلى العكس من ذلك نرى أن الدولة العثمانية كانت حريصة على اقرار حسن الجوار وتوحيد كلمة المسلمين وذهبت حتى الى عزل حسن باشا من ولاية الجزائر لانه « لم يحسن المجاورة مع جيرانه ومال الى جانب العنف والاعتساف ونبذ وراءه طرق الوفاق والائتلاف وسد باب الاتحاد مع المجاهدين حماة الدين لذلك بدلناه (بـ) صالح باشا دام اقباله ،،،، وأمرناه باقامة الشرع الشريف المتين واحياء تواتر سيد المرسلين وصون الرعايا وحفظ البرايا الذين هم ودايع الله تعالى وان يكون مع الاهالي على أكمل اتحاد وأجمل اتفاق مثابرا على دفع أعداء الدين وقمع الكفرة الفجرة المتمردين على أن أقصى مراد حضرتنا العلية احياء مراسم الاسلام واطفاء نائرة الكفر اللئام وذلك المرام يكون **باتفاق امراء الاسلام والاتحاد أمناء شرع سيد الانام** » (77)

بل ان هناك رسائل عديدة متبادلة بين حكام فاس والباب العالي تعكس امتنان الدولة العلية لمواقف حكام فاس للدفاع عن مسلمي الاندلس ، ومنوهة بهم حيث أنهم تمكنوا من « قهر الاعداء المشركين واعلاء كلمة الدين المتين واجراء أحكام الشرع المبين وبذل المقدور في معاضدة أهالي ولاية الاندلس المحمية حماها الله عن العاهات والبلية حيث هبت نسمات النصر على جيوش الاسلام » (78)

وفي رسالة وجهها الباب العالي الى العلماء والفضلاء والفقهاء والخطباء والائمة بطرابلس الغرب ، أكد على أمن واستراحة البرايا وأن عزمه مصروف لذلك وهدفه ان يكون « الرعايا والبرايا في أيام دولتنا الرايقة على أجمل حال وفراغ بال مشغولين بمكاسبهم ومعايشهم السنتهم رطبة بالادعية الصالحة

---

(77) **الساحلي** ، خليل « تقليد صالح باشا ولاية الجزائر سنة 1552 » المنشور بـ **المجلة التاريخية المغربية** ، عدد 2 ، ص 131 تونس ، 1974 ، رسالة من السلطان سليمان القانوني الى محمد حاكم فاس

(78) ا. ر. و. ا ، **مهمة دفتري رقم 22** ، ص 332 رسالة موجهة الى حاكم ولاية فاس بتاريخ جمادى الاول 981 / سبتمبر 1573 ، راجع الوثيقة رقم 13 اسفله

في صحايفنا الشريفة » (79) بل ان هؤلاء الرعايا أصبحوا يعدون في نظر الدولة العثمانية « مثل رعايانا مصونين محفوظيـن لا خوف عليهم ولا هـم يحزنون ... » (80) وهم « ودايع الله تعالى (على أن يكونوا) آمنين على أنفسهم وأولادهم وعيالهم ومضبوطين ومنتظمين في جميع أحوالهـم ولا يخلو مـن أن ننظر اليكم بنظر العناية دايما وأبدا » (81) وتضيف وثيقة أخرى الى ذلك رغبة الباب العالي أن يكون الاهـالي : « في غايـة الامن والآمـان والرفاهيـة والاطمينان فرحين مستريحين فيأوطانهم » (82) « وأن أقصى مراد حضرتنا منها ومن كان فيها من رعاياها وعلمائهـا وصلحائها وفقرايهـا وضعفايها أن يكونوا مصونين مامونيـن بانفسهـم وأموالهم واهلهـم وعيالهـم ومساكنهـم ومواطنهم ... » (83)

انه يكاد من المستحيل ان نعثر على نصوص وثائق معاصرة لها ، وصادرة عن مسؤولين آخرين ، لهـا نفس هذه المميزات وهذا الوضـوح في الاهـداف والغايات وهذا الحرص والتركيز الشديد للعمل على راحة المواطنين وأمنهم في حياتهم وأهلهم وعيالهم ومساكنهم ومواطنهم ؟

لقد ركزت الدولة العثمانية في هذه الفرمانات الصادرة عنها الى الزعماء العرب المحليين والقواد العثمانيين بخصوص على امن الناس وقد تردد هذا المضمون في كل هذه الاوامر السلطانية تقريبـا ، وهذا ما يعكس انشغالهـا الكبير خاصة اذا أدركنا أن البـلاد والمواطنين كانوا معـرضين الى الهجمـات المتكررة من طرف « التحالف الاوروبي المسيحي المقدس » ، هذا فضلا عن هذا الصراع البحري الذي أخذ يشتد يوما بعد يـوم ومن الطبيعي اذن ان تـولى

---

(79) ارشيف رئاسة الوزراء باستنابول (ا. ر. و. ا) ، مهمة دفترى (الدفاتر المهمة) رقم 3، ص 208 ، رسالة بتاريخ 6 ربيع الاول 967 / 6 ديسمبر 1559 ، راجع الوثيقة رقم 1 ، اثر هاته الدراسة .

(80) ا. ر. و. ا ، مهمة دفتـرى رقـم 3 ، ص 223 ـ 224 ، الباب العـالي الى الحاكـم يومئـذ بولاية تونس بتاريخ اواسط ربيع الاول 967 / من 10 الى 20 ديسمبـر 1559 ، راجـع الوثيقة رقم 2 ، المنشورة اثر هذه الدراسة

(81) ا. ر. و. ا ، مهمة دفتـرى رقم 21 ، ص 225 ، رسالـة الباب العـالي الى اعيـان تـونس بتاريخ 6 ماى 1573 ، راجع الوثيقة رقم 12 المنشورة اسفله .

(82) ا. ر. و. ا ، مهمة دفتـرى رقم 7/11 ، ص 907 ـ 908 ، رسالـة من البـاب العـالي الى اهالى الجزائر بتاريخ 20 ـ 30 اكتوبر 1568 ، راجع الوثيقة رقم 5 اسفله

(83) ا. ر. و. ا ، مهمة دفترى رقم 10 ، ص 170 ـ 171 ، رسالـة من الباب العالي الى قايـد جيش الجيوش سليمان ، بتاريخ 18 فيفرى 1572 ، راجع الوثيقة رقم 7 اسفله

الدولة العثمانية لأحداث الايالات المغربية كل اهتمامها وأن تأخذ على عاتقها مسؤولية الدفاع عنها

وقد فسر العثمانيون استنجادهم للمسلمين المغاربة على إنه تلبية للجهاد وحيث ان « الله بسط أمنه لعباده ونظر اليهم بعين رأفته ووداده وجعل منهم الفائزين الذين **جاهدوا في الله حق جهاده** والذين قلوبهم يشد بعضهم بعضا بجوده » (84) . وفي رسالة أخرى كان الباب العالي يحث ويذكر بفضائل الجهاد : « وانه لا يخفى عليكم بأن بذل الجد والاجتهاد في **امر الجهاد** والشفقة على العباد من الحاضر والباد (كذا) وتخليص الممالك والولايات وانقاذ الانفس من المهالك والورطات مسلكنا الشريف الجميل وسمتنا اللطيف الجليل وليس بنعل الله تعالى افتقار ولا بغية وما في ضميرنا ارادة ولا منية سوى رفاهية العالم ... » (85) كما اعلن الباب على أعيان تونس : « انه لما شرفنا الله تعالى بخطاب : **وجاهدوا في سبيل الله حق جهاده** ، وفضلنا على كثير من عباده وفوض الينا تعمير البلاد وتدمير الكفر وأصحاب البغي والعناد توجب علينا ان ندبر في تلك الامور أحسن التدبير ونقطع بعناية الله القدير دابر القوم الظالمين بالاستيصال والتدبير أحضرنا في هذه السفن المباركة سفنا كثيرة الاعداد مشحونة بصنوف الاجناد وضروب أدوات الحروب والات الجهاد للغزا (كذا) مع أشرار الكفار المتوطنين في سواحل البحار ... » (86) بل ان « عزمنا الشريف العالي السلطاني دايما الى الغزو في سبيل الله والجهاد بأعداء الله واطفاء نائرة الكفرة خذلهم » (87)

تلك هي إذن الخلفية الدينية التي كانت وراء شرعية التحرك العثماني في الايالات المغربية وقننت تدخله وحتمت على الباب العالي واجب الدفاع عن المسلمين ، وهذا ما يفسر استجابة الدولة العثمانية لمساعدة المواطنين وحرصت منذ فتح طرابلس الغرب سنة 1551 على أن تستجيب للنداءات التي ما فتئ الاهالي يوجهونها الى الدولة العثمانية ، ولما وصل الى علمها « تهيىء سفن

---

(84) ارشيف رئاسة الوزراء باستنابول ، مهمة دفترى رقم 7/11 ، ص 907 ـ 908 ، رسالة من الباب العالي الى عبد الله حاكم مراكش بتاريخ شهر اكتوبر 1568 ، راجع الوثيقة رقم 4 ، المنشورة اسفل هذه الدراسة

(85) ا. ر. و. ا ، مهمة دفترى رقم 23 ، ص 293 ، رسالة موجهة الى علي بن عامر بتاريخ 13 فيفرى 1574 ، راجع الوثيقة رقم 14 ، المنشورة اسفله

(86) ا. ر. و. ا ، مهمة دفترى رقم 21 ، ص 225 ، رسالة بتاريخ 6 ماى 1573 ، راجع الوثيقة رقم 12 المنشورة اثر هاته الدراسة

(87) نفس الملاحظة رقم 86 اعلاه .

الكفار خذلهم الله تعالى وقصدهم الى تلك الديار العظيمة الاثار وعند ذلك جهزنا من اعتابنا الجليلة لحفظ تلك الديار ودفع الاذى والضرر عن أهاليها سفنا ملوة (كذا) بعساكرنا المنصورة مشحونة بالآلات والعدد » (88) وأننا أمرنا لردهم وقمعهم ومقابلتهم ومقاتلتهم بتجهيز سفن مملوءة بالعساكر المنصورة والآلات والعدد » (89)

ويتجلى حرص الباب العالى على الوفاء بتعهداته للدفاع عن المسلمين أن سفنه كانت تقلع من استنابول ربيع كل سنة لتجوب البحر الابيض المتوسط وخاصة غربه حيث تركز فيه أهم قوى عدوهم وعلى الرغم من الهزيمة البحرية التى منى بها الاسطول العثمانى فى معركة ليبنتى (Lépante) واشتداد الضغوط عليه وسقوط تونس من جديد سنة 1573 تحت النفوذ الاسبانى وتهديد بقية السواحل المغربية ، الا أن الدولة العثمانية كانت مصممة هذه المرة على اجتثاث الاسبانيين وتدمير قلعتى حلق الوادى وتونس واخبرت أن « كفرة اسبانيا خذلهم الله تعالى القاهر الى يوم الدين قد جمع جنوده عبدة الشياطين وبالغ فى الاحتشاد واستكثروا أوليائه الطاغين أولى البغى والفساد واتى بهم بغتة مع السفن على الولاية المزبورة نحاصروا قلعة تونس وبكررد (بنزرت) فلما احاط علمنا الشريف جميع ما فيه واستوضح كل ما يحويه قمنا على أقدام الاقدام وركضنا بأرجل الاهتمام فجهزنا سفاين مملوءة بأبطال الرجال والات الحرب والقتال وصممنا ارساله فى فصل الربيع لتلك السنة لتخليص ما أخذه الكفار من القلاع والبقاع فى تلك الديار وتسخير قلعة حلق الواد وغيرها من المداين الحربية ومواطن ارباب الفساد متوكلا على فضل الله ... » (90)

وبذلك نرى كيف ان الدولة العثمانية قد أضفت على تحركها السياسى والعسكرى معنى دينيا صرفا قد استمد ولا شك من طبيعة الدولة العثمانية نفسها . ألم يعلن الباب العالى ان تدخله للدفاع عن الايالات المغربية « انما هو لله ولاعلاء كلمة الله ولدفع مكيدة أعداء الله وهذا هو مقصدنا الاعظم وسبيلنا

---

(88) راجع الوثيقة رقم 1 المنشورة اسفله والموجهة من الباب العالى الى اهالى طرابلس الغرب فى اواخر ديسمبر 1559

(89) راجع الوثيقة رقم 2 المنشورة اسفله وهى عبارة عن رسالة موجهة الى حاكم تونس بتاريخ شهر ديسمبر 1559

(90) إ. د. و. ا ، مهمة دفترى رقم 24 ، ص 55 ، رسالة موجهة الى امير تونس بتاريخ 28 مارس 1574 ، راجع الوثيقة رقم 16 المنشورة اسفله

الاقوم دايما لقيام شوكة الاسلام » (91)

هل بعد هذا من شك في استمرار اتهام الدولة العثمانية بانها خططت لاحتلالنا واستعمارنا ونهب ثرواتنا واقتصادنا وقتل روح الخلق في شعوبنا واطفاء روح العلم في ربوعنا وممارسة أساليب السطو والبطش علينا وبصفة عامه هي المسؤولة على كل المصائب التي حلت بهذه البلاد (92) ؟ هل يستقيم مثل هذا المنطق مع حقيقة الواقع التاريخي المستمد من روح الوثائق والتي هي مرجعنا الوحيد والتي تعكس صورة أمينة لسر التحرك العثماني في منطقتنا وهذا بالنسبة للقرن السادس عشر على الاقل ؟

لا ريب الآن ان الخلفية التي حملت العثمانيين على التحرك لصالح الايالات المغربية ثم حرصهم على توحيد كلمة المسلمين واستتباب الامن وحسن الجوار، مع بعضهم البعض، كانت خلفية دينية بحتة ، كشفت عنها نواياهم وسياستهم ووثائقهم ولا شك أيضا انه لولا هذا التحرك العثماني السريع والفعال في مجابهة الخطر الاسباني – المسيحي المكثف خاصة بعد بنائهم قلعة تونس الجديدة وتحصين قلعة حلق الوادي ولولا هذه القوة العسكرية العثمانية الرادعة التي أوفدها الباب العالي بقيادة سنان باشا وقليج علي باشا بالتعاون مع القيادات العربية والعثمانية بالايالات المغربية للقضاء على شوكة الاسبان لما أمكن لتونس مطلقا أن تجابه بمفردها هذا الخطر و ان تحافظ على مميزاتها التاريخية في اطار تبعيتها للعثمانيين. بل ان الوجود العثماني في غرب البحر الابيض

---

(91) راجع الوثيقة رقم 2 المنشورة اسفله

(92) لا نهدف من هذا الدفاع عن الدولة العثمانية بطريقة اعتباطيه ونرد على من ينادي بهذه الاتهامات ، ان مصير المغرب الاقصى الذي لم يخضع للتاثير العثماني ، لم يختلف البتة عن بقية البلاد العربية ، اقتصاديا او سياسيا واجتماعيا وحتى وضع الامبراطورية العثمانية كان في كثير من الاحيان اكثر سوءا من البلاد العربية ، وخاصة بالنسبة لمصر محمد علي التي أعطت المثال للباب العالي لتبني الاصلاحات ثم لا بد ان ناخذ بالاعتبار مدى تأقلم الاسرة العثمانية الحاكمة بالبلاد العربية واندماجها تدريجيا في المجتمع وهذا تلقائيا مع وجود الفوارق الاجتماعية والعرقية والتي لا يمكن اساسا القضاء عليها في اي زمان او مكان يضاف الى هذا ان طبيعة الحكام العثمانيين بالبلاد العربية ليسوا رجال فكر او علم او سياسة بل هم انكشاريون شانهم في ذلك شان الحكام العثمانيين في الاناضول نفسه وحيث لم يختلفوا عنهم من جميع النواحي . وهل يا ترى كان وضع الحفصيين او المملوكيين افضل من وضع العثمانيين في آسيا الصغرى ؟ لا بد ان نؤمن في البحث التاريخي بنسبية المقاييس وبشمول النظرة التاريخية لكل القضايا واخيرا وليس آخرا لعل مقارنة بسيطة بين وجود العثمانيين ببلادنا والتي استمر بين ثلاثة واربعة قرون وبين استعمارنا من طرف الانقليز والفرنسيين والذي استمر من ربع قرن الى قرن وربع لأقوى دليل على نوعية التاثيرات التي خلقها كل من الوجودين ! !

المتوسط قد عزز من معنويات المغاربة وحفزهم للتعاون مع العثمانيين وجعلهم أكثر حساسية وتيقظا للاخطار التي تحيط بهم ، وهـذا ما يفسر تعاونهـم المطلـق وقبولهم بطواعية تبعيتهم الى الامبراطورية العثمانيـة ، وقد أثبتت الاحـداث فيما بعد أنهم لم يكونوا مخطئين في رؤيتهم وفي اعتبارهم أن الدولة العثمانية حامية المسلمين مشرقا ومغربا

الملاحـق (1)

الوثيقـة رقـم 1

هذا مرسومنـا (2) الشريف العـالي السلطاني وأمرنـا المنيف السامـي الخاقاني أرسلناه الى العلماء والفضلاء والفقهاء والخطباء والائمة وجميع الرعايا والبرايا بطرابليس الغرب (كذا) زيد توفيقهم يتضمن اعلامهم انه قد سمـع بسدتنا السنية تعرض الكفار خذلهم الله تعـالى دايما لتلك الاماكـن المباركـة والمواطن المبجلة وسكانها وكذلك أهالي الاسلام ثمـة ، على أن عزمنا الشريف كان مصروفا دايما لتلك الديار المباركة واستخلاصها لاجل استراحة الرعايـا والبرايا وأهالي الاسلام ، وقد يسر الله تعالى ذلك وصارت تلك الاماكن المباركة

---

(1) عثرنا على جميع هذه الرسائـل في مهمة دفتري بارشيف رئاسة الـوزراء باستنابـول ، وتعتبر من اغنى المصادر لتاريخ الامبراطورية العثمانية ابتداء من منتصف القرن السادس عشر ، راجع لتاريخ هذه الدفاتر وكيفية الاستفادة بها ومدى اهميتها
Uriel Heyd, *Ottoman Documents on Palestine (1552-1615), A Study of the Firman according to the Mütimme Defteri, 204 p., Oxford,* 1960.
وقد تعذر علينا في بعضها قراءة بعض الكلمات ووضعنا بدلها عدة نقاط مسترسلة لتدلل على ذلك كما اننا وضعنا اصطلاح (كذا) بين قوسين لننبه القارئ الى الاخطاء الموجودة في النص
لم نعلق على هذه الوثائق ، فهذا وحده يستلزم بحثا قائما بذاته ، ولكننا رأينا ، بعد ان استفدنا منها في دراستنا هاته ، ان ننشرها ، ذلك اننا نؤمن انه يستحيل علينا ان نولي كل وثيقـة مـا تستحقـه مـن الاهتمـام فالوثائـق كثيـرة ولا نستطيـع وحدنـا ان نقوم بكـل شيء مـع العلـم ان هـذه الوثائـق كنـا اول من اكتشفهـا في أرشيـف استنابول في صيف 1966 وقد بقيت محفوظة لدينا مع غيرها من الوثائق العثمانية والتي نأمل ان نوليها اهتماما وننشرها تباعا وعلى هذا الاساس فقد رأينا جدوى نشرها خدمة للباحث في هذه العصور التي ما زلنا نجهلها تماما

(2) ا. ر. و. ا ، مهمة دفتري ، ارشيف رئاسة الوزراء باستنابول رقم 3 ، ص 208 ,حكم رقم 578 ، رسالـة من الباب العـالي الى اعيان طرابلس الغـرب راجـع الشكل رقم 1 الصفحة الموالية

من عداد ممالكنا المحروسة من الرعايا والبرايا مثل رعايانا مصونين محفوظين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون وانتم كذلك داخلون في سلك خدام اعتابنا الجليلة وممالك دولتنا القاهرة الفايقة ولأجل حفظ تلك الديار المكرمة وصونها والدفاع عنها ارسلنا من اعتابنا الجليلة إلى تلك الديار اميـر أمرا وقاض لاجراء أوامر الشرع الشريف المطهر والقانون المقـرر ولتكون الرعايا والبرايا في أيام دولتنا الرايقة على أجمل حال وفراغ بال مشغولين بمكاسبهم ومعايشهم ، السنتهم رطبة بالادعية الصالحة في صحايفنا الشريفة ، هذا وفي السنة الماضية كان قد اتصل بمسامعنا الشريفة تهيؤ سفن الكفار خذلهم الله تعالى وقصدهم الى تلك الديار العظيمة الاثـار وعند ذلك جهزنـا من اعتابنـا الجليلة لحفظ تلك الديار ودفع الاذى والضرر : أهاليها سفنا مملـوءة (كذا) بعساكرنا المنصورة مشحونة بالالات والعدد فلما سمعوا بذلك الكفار تفرقوا وانهزموا وعلم بذلك مملوك حضرتنا الجليلـة القبودان دام اقبالـه ، وانقضى موسم البحر لا جرم رجع المشار اليه الى أعتابنا الجليلة

الشكل رقم 4 رسالة من الباب العالي الى أعيان طرابلس الغرب.

أ. د. و. أ. مهمة دفتري رقم 3 ، ص 98.

والآن قد تسمع لسدتنا السنية قصد الكفار المذكورين خذلهم الله تعالى وتوجه عزيمتهم الى تلك الديار وعند ذلك امرنا بتجهيز سفن مشحونة بالالات والعدد والمقاتلين وارسالهم فمرسومنا الشريف المطاع وامرنا المنيف الواجب الاتباع أنه اذا جاء الكفار الى تلك الديار قبل قدوم مراكبنا المذكورة وعساكرنا المؤيدة المنصورة اليكم ، حينئذ على ما هو مقتضى شجاعتكم ومركوز في جبلتكم الحسنة وحسن اسلامكم وغيرتكم وحميتكم لدين الاسلام مع أمير الامراء وساير عساكر الاسلام وحماة دين النبيء عليه السلام ، لسانكم واحد ووجهتكم واحدة بحيث لا يتمكن أحد من أولئك الكفار المخذولين لمضرة احد من المسلمين تلك الممالك المصونة لترتفع ظلمة اولئك الكفرة الفجرة عن المسلمين بتلك الديار العظيمة الاثار غيرة وحمية للدين القويم ومعاونة لأمة سيد الاولين والاخرين واما ارسال امير الامراء الى تلك الديار فمراد حضرتنا العلية أن تكون الرعايا وساير المشائخ والاعيان في احوالهم وقلاعهم ومساكنهم ساكنين بحضور القلب لا يتعدى على أحد في ملكه ولا قلعته على أنه ان كان أحد من أمير الامراء وساير العساكر ثمة عارض احدا في ملكه وقلعته بعد اتمام هذه الاحوال تعرضوا ذلك لدى اعتابنا العلية لتقابل منه (؟) بفعل ذلك تعلمون ذلك وتعتمدونه والله تعالى هو الموفق بمنه

صورة منها الى مشائخ عربان طرابلس والى العلماء والصلحاء والى المشائخ : شيخ المحاميد ، شيخ المكارجة ، شيخ الجواري، شيخ الزبانية ، شيخ ورقلة ، شيخ العرفان ، شنيخ مسلاته ، شيخ تاجورة ، شيخ مصراته شيخ خيلتين ؟ ، شيخ طمنون ، شيخ تاورغة ، شيخ جربه (؟)

6 ربيع الاول 967 (3)

الوثيقة رقم 2

هذا مثالنا (4) العالى الشريف السلطاني وخطابنا المنيف السامي

---

(3) 6 ديسمبر 1559

(4) ا. و. و. ا ، مهمة دفترى رقم 3 ، ص 223 ـ 224 ان اسلوب الرسالة كان يجرى على طريقة الديوان العثماني حيث كان يلحق ياء التفخيم للالقاب

رسالة من الباب العالي الى احمد سلطان الحفصي ، وهي ثاني رسالة نعثر عليها موجهة من العثمانيين الى الحفصيين وتؤكد على حرص احمد سلطان على اظهار الطاعة والولاء للعثمانيين في ظرف دقيق جدا كان فيه وسط وجنوب تونس فضلا عن ايالة طرابلس الغرب والجزائر تحت نفوذ العثمانيين ، راجع لموقف احمد سلطان هذا

Ch. Monchicourt, « Etudes Kairounaises - V. Kairouan et les Chabbia de 1558 à 1574 », pp. 32-42, in, *Revue Tunisienne*, n° 17, 1934.

الخاقاني حصن بالعون الرباني والمن الصمداني أصدرناه الى الجناب العالى الامير الكبير الاكرمي الافخمي الامجدى الارشدى الاكملى الاعدلي العونى الغوثي الأوحدى القصدى الهمامي الماجدى الاصيلى العريقي نسل السلالة الهاشمية

فرع الشجرة الزكية طراز العصابة العمرية المحفوف بعناية الملك الصمدانى الحاكم يومئذ بولاية تونس أدام الله سعده وأنجح قصده فوضح لعلمه أنه قد سمع بسدتنا السنية تعرض الكفار خذلهم الله دائما واستيلاء يدهم البتراء على ولاية طرابلس وما ضاهاها من تلك الولاية وهتكهم حرمات المسلمين واستخدامهم لهم وقد كان عزمنا الشريف مصروفا لفتح تلك الديار واستخلاصها من ايديهم نصرة لأهالى الاسلام وعزة لدين سيد الانام صلوات الله وسلامه عليه واسترقاق للرعايا والبرايا بتلك الديار العظيمة الاثار وقد يسر الله تعالى ذلك وصارت تلك الديار وما تابعها من عداد ممالكنا المحمية وكذا من بها من الرعايا والبرايا مثل رعايانا مصونين مرعيين محفوظين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ولأجل ذلك ارسلنا الى الولاية من اعتابنا العلية امير أمرا وقاض وأمرناهما باجراء الشرع الشريف المطهر ودفع الاذى والضرر عن أهالى تلك الاماكن المبجلة والمواطن المباركة لتكون الرعايا والبرايا خصوصا العلماء والفضلاء والفقهاء واعلام الدين المبين فى دولتنا الفائقة ومعدلتنا الرايقة على أجمل حال وفراغ بال مشغولين بمعايشهم ، السنتهم رطبة بانواع الادعية الصالحة فى صحائفنا الرايقة

هذا وفى السنة الماضية كان قد اتصل بمسامعنا الشريفة تهيؤ سفن الكفار أحلهم الله دار البوار وقصدهم تلك الديار وعند ذلك جهزنا من أعتابنا الجليلة لدفعهم وقمعهم سفننا مملوءة بعساكرنا مشحونة بالات القتال والعدد فلما سمع بذلك الكفار ولوا الفرار ولم يلبثوا ساعة من نهار وانقلبوا صاغرين وتفرقوا وانهزموا خاسرين ولما علم بذلك مملوك حضرتنا العلية أمير الامراء الكرام القبودان باعتابنا الجليلة بيالة دام اقباله وزاد اجلاله وانقضى موسم البحر لا جرم المشار اليه الى اعتابنا العلية ، ثم الآن قد سمع بسدتنا السنية قصد الكفار المذكورين خذلهم الله تعالى وتوجه عزيمتهم الغير موجهة الى غير تلك الديار لا جرم أمرنا لردهم وقمعهم ومقابلتهم ومقاتلتهم وقلعهم بتجهيز سفن مملوءة بالعساكر المنصورة والالات والعدد ولا غرو أنكم أنتم وأباؤكم من قبل المجاهدين والمدافعين ....، وحماة دين سيد المرسلين بتلك الاراضى

فمثالنا الشريف اليكم أنه اذا جاء الكفار الى تلك الديار قبل قدوم مراكبنا المذكورة ووصوله لتلك الديار حينئذ تتدبروا على ما هو مركوز فى

جبلتكم الحسنة وطريقتكم المستحسنة ودينكم وديانتكم وشجاعتكم وشهامتكم معاونة ومعاضدة لأهالي الاسلام وامر خير الانام مجدين ومجتهدين في دفع مضرة اولئك الكفرة الفجرة ووهي كيدهم لئلا يقع والعياذ بالله من اولئك الكفرة بحسن تدبيركم ولطف رايكم خسارة لأهالي تلك الولاية المباركة وما هناك من البقاع والقلاع ، على ان قيامكم في هذا الآمر المهم وانتدابكم لدفع ذلك الضرر الملم انما هو لله ولاعلاء كلمة الله ولدفع مكيدة اعداء الله وهذا هو مقصودنا (كذا) الاعظم وسبيلنا الاقوم دايما (   ) لقيام شوكة الاسلام ومقاصدة أمير سيد الانام لتكون الرعايا والبرايا في أيام سدتنا الفايقة على أحسن الانتظام وأكمل القيام آمنين على أنفسهم وآمالهم ان شاء الله تعالى ورضاؤنا منه نصرة المتين والغلبة على الكفرة اعداء الدين والله تعالى هو الموفق والمعين بمنه ويمنه ان شاء الله تعالى تحريرا في أواسط شهر ربيع الاول من 967 (5) وقد أرسلناه من فايض انعامنا الى الجناب العالي خلعة سنية ، فليلبسها داعيا لدولتنا الفايقة والله تعالى هو المسؤول ومنه القبول بمنه ويمنه

الوثيقة رقم 3

هذا مرسومنا (6) الشريف العالي السلطاني وامرنا المنيف السامي الخاقاني لا زال نافذا مطاعا في المشارق والمغارب أرسلناه الى العلماء والفضلاء والصلحا (كذا) وجميع الامراء والكبراء وأهالي الاسلام باقليم فاس وديار مراكش وبلاد سوس وساير توابع تلك الارض المباركة وفقهم الله تعالى نعلمهم أنه لا يخفى أن والي تلك الولاية وحاكمها سابقا الشريف محمد انتقل بالوفاة وصارت تلك الولاية في يد ولده عبد الله لكن أهالي تلك الديار الجليلة لم يكونوا لفعله من الشاكرين ولسره من الذاكرين ، على أن من أولاد الشريف محمد المزبور افتخار الامراء الكرام مختار الكبراء الفخام الاميري الكبيري الاكرمي الافخمي الهمامي الماجدي الاصيلي الحسني السنبي المحفوف بصنوف عواطف الملك المهيب (؟) الشريف عبد الرحمان ادام الله تعالى سعده وأنجح قصده وكمال دينه وديانته وحسن سره وسيرته ولكونه أولى لضبط تلك الولاية من عبد الله المزبور وأخرى (؟) وأهالي تلك البلدة ويطلبونه واللواء عليهم يريدونه وتنصيبه في تلك الولاية يحصل لأهاليها الامن والامان ومزيد الرفاهية (؟) الاطمئنان فلا جرم قبل تاريخ هذا المنشور العالي والدي المرحوم المغفور له سلطان الغزاة والمجاهدين سلطان سليمان خان

---

(5) 15 ديسمبر 1559

(6) مهمة دفتري رقم 7/2 ، ص 68 ، حكم رقم 187

أسكنته الله في غرف الجنان نصب المشار اليه أميرا لتلك الولاية وأنعم مرسوما شريفا فارسل المشار اليه ذلك المرسوم الى سدتنا العلية يطلب تجديده فاعطيناه من سدتنا السنية منشورنا السنى الخاقاني فمرسومنا الشريف المطاع وأمرنا المنيف واجب الاتباع ان تكونوا مع فخر الأمراء المشار اليه على احسن حال وأكمل اتحاد لرأيه السديد مطيعين ولفكره الصايب منقادين ، لسانه لسانكم ووجهته وجهتكم تقلبكم وقالتكم (كذا) لدخولة تلك الديار له معين ومظاهرين فيما يتعلق بالدولة والدين واجراء شرع سيد المرسلين صلوات الله عليه وسلامه . على أن أقصى مراد حضرتنا العلية أن تكون أهالى الاسلام ...... من الايام شرقا وغربا بعدا وقربا فى أيام دولتنا الفائقة على احسن حال واجمل مآل ، امنين مطمئنين فرجين ومستريحين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون والله تعالى هو الموفق المعين بمنه ويمنه والعلامة الشريف ..... بمضمونه تحريرا في اوايل صفر سنة خمس وسبعين وتسعمائة (7)

الوثيقة رقم 4

الحمد لله (8) الذى بسط أمنه لعباده ونظر اليهم بعين رأفته ووداده وجعل منهم الفايزين الذين جاهدوا فى الله حق جهاده والذين قلوبهم يشد بعضهم بعضا بجوده والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وأولاده ، وبعد فهذا كتابنا الشريف السلطاني وخطابنا المنيف السامي الخاقاني أصدرناه الى الجناب العالى الاميرى الكبيرى الاكرمي الافخمي الامجدي الارشدي الهمامي الماجدى الاكملى الاعدلى النصرى (كذا) العوني الغوثي الواحدى العضدى الاصيلي العريضى الحسبى النسبى نسل السلالة الهاشمية فرع الشجرة الزكية النبوية طراز العصابة العلوية المحفوف بصنوف لطايف الملك الحاكم يومئذ بولايت (كذا) مراكقوش (كذا) السيد عبد الله أدام الله سعده وأنجح قصده يعرف مضمونه الميمون أنه ورد الى أبوابنا العالية خلق الامراء الكرام ذخر الكبراء الفخام ذو القدر والمجد والاحترام المختص بمزيد عناية الملك المالك أخوكم عبد الملك أدام الله تعالى علوه مظهر الاخلاص والعبودية والانتماء (كذا) وملجاء (كذا) بكنف حمايتنا ومختصا لابوابنا العلية السنيةويكون

---

(7) 10 سبتمبر 1567

(8) إ. و. ا. ، مهمة دفتري رقم 7/2 ، ص 907 ـ 908 ، حكم رقم 2484

(9) ما بين 1 و 10 اكتوبر 1568

هذا الاخلاص موديا لاصلاح ما بينكم وسببا يزيل الشقاق من بينكم ومستلزما لانتظام أحوال جمهور الأنــام ومتضمنا رفاهية الخــواص والعوام فيميــن لــه لانتماشه بعض ما فى يدكم من الممالك التى تحت حوزة حكومتكم وانتقل اليكم من ابايكم الكرام حتى ان لا يكون بعد اليوم فى ما بينكم من القتال والجــدال والليام ويكون الرعايا والبرايا الذين هم ودايع الله فى تلك الاماكن فى غايــة الامن والامان والرفاهية والاطمئنان بحيث يظهر فى هذا الشان مرضات (كذا) الله تعالى الاتباع وأمر الله تعالى حيث قال الله تبارك وتعالى وان طايفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما خصوصا انكم مع المشار اليه اخوان وبحمد الله تعالى أنكم من أهل الاسلام وغير ذلك من السادات العظام ولا ينبغى بينكم من البغى والعدوان فلا جرم لا يخفى كذلك على علمكم أنكــم من قديم الايــام وسوابق الاعوام ممن اظهــر الاخلاص والمــودة نحو عتبتنا العليــة الخاقانيــة ومطيعا منقادا لسدتنا السنية السلطانية بقلبك وبقالبــك وخلوص طويتــك وفرط محبتك الى جنابنا العالى السلطانى فلأجل اخلاصك ينبغى (أن) تعين لأخوتك (كذا) المشار اليه شيئا من الممالــك التى انتقل اليكــم من أبايكــم الكرام وتحت تصرفكم فى هذا الآن (كذا) ليقوت (كذا) المشار اليه وترعى حق الاخوة فيه ويزيل ما بينكم من الشقاق والعناد وتكونوا مجدين فى حفظ البلاد وصون العباد ويكون الرعايا والبرايا آمنين فى أوطانهم منشرحين بحيث لا خوف عليهم ولا هم يحزنون والله تعــالى هو الموفق والمعين بمنه ويمنــه أن شاء الله تعالى جرى ذلك فى أواسط جماد الاول 976 (9)

الوثيقــة رقــم 5

هذا مرسومنا (10) الشريف العالى السلطانى وخطابنا المنيف السامى الخاقانى ارسلناه الى العلماء والصلحاء والشرفاء وساير أهالى الجزاير دام توفيقهم يعرف مضمونه الميمون أنه ورد من جانبكم لحضرتى قيد مما صدر من الامراء الكرام امين بولايت (كذا) جزاير سابقا محمد باشا ابن صالح باشا ومن كتخدايه من الحروف (كذا) والظلم وأخذوا فى يد رعايانا هناك من المال وغير ذلك جميع ما حصل منهم لأهالى الجزاير ثمة عرض لدى حضرتنا السنية مفصلا وجعل هنا محمد باشا المشار اليه جــزاؤه وأما كتخــدا وما وجد عنده من المــال وغيــره

---

(10) ا. ر. و. ا ، مهمة دفترى رقم 7/2 ، ص 907 ـ 908

(11) ما بين 20 و 30 اكتوبر 1568

(12) ا. ر. و. ا ، مهمة دفترى رقم 10 ، ص 167

ارسلناه الى الجزاير جملة ليؤخذ بحسب الشرع الشريف منهم حقوق العباد في أيام عدالتنا الفايقة وكذلك ارسلناه في ذلك الشأن حكما اخر موجه (كذا) الى أمير الامراء الكرام كبير الكبراء الفخام ذى القدر والمجد والاحترام المختص بمزيد عناية الملك الاعلى امير الامراء بولايت (كذا) الجزاير على باشا دام اقباله لان يرد لأهالي الجزاير المزبورون منهم بالظلم والعدوان حتى يأخذ منهم كل ذي حق حقه واقصى مراد حضرتنا الجليل أن يكون الرعايا والبرايا الذين هم ودايع الله تعالى فى أيام دولتنا الفايقة في غاية الأمن والأمان والرفاهية والاطمينان فرحين مستريحين في أوطانهم مواظبين على الادعية المقبولة والاثنية المباركة فى أناء الليل وأطراف النهار والله تعالى هو الموفق والمعين بمنه ويمنه ان شاء الله تعالى جرى ذلك وحرر فى أواخر جماد الاول 976 (11) .

الوثيقة رقم 6

هذا مرسومنا (12) الشريف العالى السلطاني وأمرنا المنيف السامي الخاقاني قد أرسلناه الى مفاخر الاماجد والاعيان اولاد سعدية وتوابعكم دام مجدكم ينهى اليكم أنه لما وردت على اعتابنا العلية المكاتيب من أعيان ولاية تونس المشتملة على عرض خلوصكم لعتبتنا العالية وشكرانهم عن فخر الأماثل والاقران رمضان زيد مجده الذى أقيم مقام أمير الامراء الكرام قبودان على باشا دام اقباله لجزائر الغرب سابقا والتماسهم تقليد الولاية اليه وتفويض جميع الامور اليه وتحميلها عليه ، قبلنا التماسهم لكن ما قلدناه بل الحقنا الولاية المذكورة بلواء على باشا المشار اليه وقررنا رمضان المومى اليه فى وكالته قائما مقام ايالته وفوضنا محافظة تلك البلاد وضبط العساكر وترفيه قلوب العباد وغيرها مما يتعلق بصيانة عرض الدولة والدين واجراء أحكام الشرع المبين ، فالمأمول منكم ان تكونوا مع الوكيل المشار اليه على امجد اتفاق واكمل اتحاد لسانكم واحد وجهتكم واحدة مجدا وسعيا فيما يتعلق بالدين والدولة وقيام ناموس سلطنتنا المتين مع مزيد الاعتبار وتمام الجد والاهتمام بحيث يظهر من جدكم المشهور وسعيكم المشكور اطمينان البلاد وحراستها وحفظ الولاية والعباد على ان نظرنا الشريف العالى دايما ابدا الى تلك الارض المباركة والى اهاليها وسد امور اسافلها واعاليها وأقصى مراد حضرتنا العلية لان يكون الرعايا والبرايا خصوصا سكان تلك الارض بالطول والعرض السنتهم رطبة واكفهم مبسوطة مبتهلين بانواع الادعية الصالحة والاثنية المقبولة وا

تعالى هو الموفق والمعين بمنه ويمنه ، 23 شوال 979 (13)

وقد ارسلت نسخة من هذا الامر الشريف الى كل من :

- سيد ابو الطيب بتونس - علماء وصلحاء والمرابطين والقياد والشيوخ بالقيروان وسوسة ومنستير والحمامات وبلد الجريد ونفطة وتوزر وسوسة والجزائر - كذلك الى ولد سفيدليه ؟ ولد بليار ؟ والى كوكو والكتخدا عرب أحمد ، بتاريخ 25 شوال 979

الوثيقة رقم 7

هذا مرسومنا (14) الشريف العالى السلطاني وامرنا المنيف الخاقاني لا زال نافذا بالعون الرباني ومطاعا له بالمن السبحاني قد أرسلناه الى فخر الاعيان ذخر الاقران قايد جيش الجيوش سليمان زيد مجده ينهى اليه ان أمير الامراء الكرام بولاية جزاير الغرب سابقا قبودان علي باشا دام اقباله قد عرض منك خلوص الطوية لسدتنا السنية وحسن معاشرتك مع جيوش الاسلام ومثابرتك على اتمام الامور المهام وبذل السعي والاجتهاد بخلوص الفواد في امر الجهاد ، وورد أيضا الى عتبتنا العلية من أعيان ولاية تونس المحمية فلا يخفى عليك ان تلك الديار كساير ممالكنا الجليلة الإعتبار والعساكر المنصورة فيها كجندنا الملازمين لسدتنا السنية بل هم أعز عندنا من هؤلاء قدرا وشرفا من حيث أنهم يواظبون الجهاد ويحرسون البلاد عن فساد المفسدين واضرار اعداء الدين لان أقصى مراد حضرتنا منها ومن كان فيها من رعاياها وعلمائها وصلحائها وفقرائها وضعفايها ان يكونوا مصونين مأمونين بانفسهم وأموالهم وأهلهم وعيالهم ومساكنهم ومواطنهم من مضرة العدىوفساد المفسدين فى أيام عدالتنا مرفهين مطمئنين مواظبين على الدعاء بالخير لدولتنا الباهرة ودوام سلطتنا الزاهرة ولأجل هذا الحقنا تلك الولاية بلواء المومى اليه وقرونا الوكيل المزبور على وكالته قايما مقام ايالته فعليك أن تتخذ وتتفق معه أكمل الاتفاق وتكون معه دايما على أجمل الوفاق فيما يتعلق بصيانة عرض الدولة والدين واجراء أحكام الشرع

---

(13) 12 مارس 1572.

(14) أ. ر. و. أ ، مهمة دفترى رقم 10 ، ص 170 - 171 ، حكم رقم 256

المبين وترفيه قلوب المؤمنين ودفع فساد المفسدين ورفع دعرة أعداء الدين المتين ويعاشر مع العشاير حسن المعاشرة ويعامل مع العساكر ويظاهر أقوى المظاهرة ويعين بالعساكر وبالزواد (كذا) والذخاير ان استعان هو منك بحيث يتحقق عند الداني والقاصي ولدى كل مطيع وعاصي كأنكم نفس واحدة عارية من سوء الشقاق والاختلاف والولاية محروسة الجوانب والاطراف بكمال الوفاق والائتلاف اذ ذلك ذريعة لاصلاح أحوال الخواص والعوام ووسيلة لاعلاء كلمة الاسلام والسلام والحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبى بعده

حرر فى 4 شوال 979 (15)

وسلم 25 شوال 979

نسخة من هذا الامر الى سليمان قائد الجيش

الوثيقة رقم 8

هذا مرسومنا (16) الشريف العالى السلطانى وأمرنا السامى الخاقانى لا زال نافذا فى المشارق والمغارب ارسلناه الى العلماء والشرفا والصلحا (كذا) والمشايخ وأعيان الناس عبر تيه الجزاير وجميع الرعايا وكافة البرايا ثمة ، بتضمن اعلامهم ان مدينة الجزاير وما تابعها من جملة ممالكنا المحروسة وخلص خلاصة بلادنا المحمية نظرنا السعيد السلطانى والتفاتنا الوريف أبدا دايما الى انتظامها وصون اهاليها وأقصى مراد حضرتنا الجليلة وغاية ارادتنا السنية ان يكون رعايانا هنالك فى أيام دولتنا العادلة امنين مطمئنين منشرحين فرحين آمنين على أنفسهم مضبوطين فى جميع أحوالهم ثغورهم مسدودة بسد سديد وقلاعهم مصونة بالامن والامان وأفيدتهم وألسنتهم رطبة بالدعاء الصالح لدوام دولتنا الفايقة مدا (كذا) الدهور والازمان وعن ذلك الشأن قلدنا امور تلك الممالك المحمية اولئك الاقاليم المحروسة ، قلدنا أمور تلك الممالك المحروسة مملوك حضرتنا العلية أمير الامراء الكرام أحمد دام اقباله لفرط شهامته وصلابته وكمال عزمه وشجاعته وحسن تدبيره وكياسته فوضنا اليه ضبط تلك الاقاليم وصونها والاهتمام بها وحفظ البلاد وصون العباد ودفع المحن والرزايا عن جميع الرعايا واحياء شرايع الدين المتين واجراء قوانين سيد المرسلين ليكون أهالى الاسلام وامت (كذا) خير الانام فى تلك الاراضى المباركة فى ظل ظليل وعدل جميل تحت كنف حماية سلطتنا السنية وفى

---

(15) 17 فيفرى 1572

(16) أ. و. و. أ ، بهمة دفترى رقم 10 ، ص 179 _ 180 ، حكم رقم 266

زمن خلافتنا الفايقة عن ايمانهم وعن شمايلهم محفوفين باكمل الراحة مرفهين وأجمل الاستراحة منعمين آمنين مطمئنين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون

29 شوال 979 (17)

الوثيقة رقم 9

هـذا مرسومنا (18) الشريف العـالي السلطاني ومثالنـا المنيف السامي الخاقاني لا زال نافذا مطاعا له بالعون الرباني قد أرسلناه الى افتخار الاماثـل والاعيان رمضان زيد مجده القايد تونس القايم مقام أمير الامراء الكرام قبودان علي باشا دام اقباله والى كل من يكن قايدا بعده ثمـة ينهى اليه آنه قد صدرت مراحمنا الجليلة السلطانية وظهرت عواطفنا الجميلة الخاقانية في مفاخر الصلحاء الساكنين مراجع الفضلاء الصالحين الشيخ امور بن عبد القدير الصوصوى والشيخ محمد الغرياني والشيخ محمد الفاسي المتوطنين ثمـة فأمرنا بـأن لا يدخل أحد من الولاة والحكام والقوايد والامراء الكـرام وغيرهم ممن في يـده حكومة على الانام ، في الزوايا المكانيـة بايديهم وتحت تصرفهم المنتقلة اليهـم من ابائهم واجدادهم ممن يتصرفون فيها كما تصرفوا من قبل ولم يتعرض لهم احد في ذلك الباب ويكون كل منهم في ايام سلطتنا السنية محميا مصونا مرفها مطمئنا تحت حكومتنا وظل عدالتنا البهيـة فيدعونا بالخيـر في ابرك الامكنـة والاقطار واشرف الأزمنـة والاعصـار بالعشي والابكـار والليـالي والاسحـار والسلام والحمد لله وحده والسلام على من لا نبي بعده

نسخة من هذا الامر وجهت الى

- الشيخ سيدى احمد البرورى ، قائد القيروان
- القائد رمضـان
- بيلـر باى الجـزائر
- الشيخ سيدى محمد الغرياني المستوطن مدينة القيروان
- الشيخ محمد الفاسي المستوطن مدينة القيروان
- الاشراف والسادات العلية المستوطنين بلدة ريغة المحمية من اعمال ولاية جزاير الغرب صانها الله عن الفات فأمنها ان يكون كل منهم معافـا (كذا) مسلما التكاليف الشاقة (؟)

---

(17) 16 مـارس 1572

(18) ا. ر. و. ا ، مهمة دفتري رقم 10 ، ص 180 ـ 181

سلم هذا الفرمان الى جعفر جاوش من الديوان ليوسل الى الباشا في غرة ذي القعدة 979 (19)

الوثيقة رقم 10

هذا مرسومنا (20) الشريف العالي السلطاني وأمرنا المنيف السامي الخاقاني لا زال نافذا بالعون الرباني قد أرسلناه الى الميرى الكبير الاكرمي

العلي، الى النضيرى (كذا) المختص بمزيد عناية الملك الصمد الامير احمد الحاكمي يومئذ بولاية ( ).دام سعده ينهى اليه أنه قد أصدرنا عواطف الجليلة السلطانية وأظهرنا الجميلة الخاقانية في حق مملوك حضرتنا العلية وخلاصة خدام سدتنا السنية أمير الامراء الكرام أحمد دام اقباله وقلدناه ولاية الجزاير الغربية وما تابعها اياه وفوضنا اليه جميع ما يتعلق بولاية الولاية المحمية لكمال الاعتناء لدينه وديانته وفرط شجاعته وشهامته وحسن تدبيره بالراى الصايب وتداركها (كذا) الثاقب وامرناه باجراء ما اقتضاه الشرع المبين واحياء مراسم الدين المتين وضبط الرعايا والممالك وحفظ البلاد والمسالك وأن يكون معكم على أكمل الاتفاق والاتحاد واجمل المعاشرة وأخلص الوداد حيث يكون لسانكم واحدا وجنانكم متحدا فيما يتعلق بصيانة العرض والدين واقامة ( ) الشرع المبين ويظهر من حسن اتحادكم المبروز ويحصل من سعيكم المشكور الامن والامان في البلاد والرفاهية والاطمئنان في قلوب العباد على أن نظرنا الشريف العالي السلطاني لا يخلو من أن يتعلق بمحاسن الاشفاق (؟) وأن يتنالق بمكارم الاخلاق الى تلك الارض بالطول والعرض والى أهاليها وصلحائها ومواليها وأسافلها وأعاليها اذ اقتضى مراد حضرتنا العلية أن تكون تلك الولاية المحمية وأهاليها مطمئنين مرفهين مصونين من تعدي الاعداء الليام في ظل عدالتنا ما دام الليالي والايام والشهور ألسنتكم رطبة بالادعية الصالحة

---

(19) 16 مارس 1572

(20) أ. و. و. أ ، مهمة دفتري رقم 10 ص 183 ـ 184 ، حكم رقم 269

لدوام دولتنا وقيام حشمتنا السامية الى قيام الساعة وساعة الصنيام (كذا)
والحمد لله وحده والصلاة على من لا نبي بعده

29 شوال 979 (21)

الوثيقة رقم 11

هذا مرسومنا (22) الشريف العالي وخطابنا المنيف السامي الخاقاني الى الشيخي الاكرمي الافخمي الامجدي الارشدي الشيخي أبو الطيب يعرف مضمونه الميمون أنه لا يخفى على علمكم ان الله جلت قدرته وعظمت مشيئته منذ اقامتنا في دولت هائلة (   ) وسيادة سايرت كالشمس وضحاها وسعادة ساعية كالقمر اذا تلاها جليلة عضد الايمان مرفوع ، ومنحنا سلطنت (كذا) سني (   ) فلا جرم وجب علينا وتحتم على ذمتنا اداء شكر هذا اللطيف الجسيم والاحسان العميم ذلك ، فعند الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم وكان أبدا رأينا ودايما عادتنا اجراء الشرع المبين واتفاق سنن سيد المرسلين علية الصلاة وعلى آله وصحبه اجمعين والقيام في اطفاء نائرة الكفر والطغيان وطي الظلم والعدوان ونشر العدل والاحسان ثم لما ان ولايت (كذا) تونس قد فتحت بعناية الله تعالى وانضمت الى ممالكنا المحروسة ونظرنا الشريف العالي دايما اليها والى انتظام امور اهاليها لا جرم عينا آمرية امرائها خلاصت (كذا) مماليك حضرتنا الجليلة أمير الامراء الكرام كبير الكبراء الفخام حيدر باشا دامت معاليه اعتمادنا على حسن سيرته وسريرته وصفاء عقيدته وديانتنه نصبنا (ه) بولاية تونس المحمية وفوضنا اليه آمورها جليلة وخطرها على ان من يخدم اعتابنا الجليلة بحسن الطوية وصفاء السريرة لا جرم يكون منظورا بانظارنا الموريقية الخسروانية ملحوظا (   ) عنايتنا الفائقة وأنت كذلك اعتمادنا على وفور عقلك وكمال دينك وديانتك وحسن اسلامك وفريد اطاعتك واخلاصك فمرسومنا الشريف المطاع وامرنا المنيف الواجب الاتباع انه اذا قدم مملوك حضرتنا العلية أمير الامراء المشار اليه الى تلك الديار وباشر في حفظها وحراستها والنظر في أمورها تكن أنت أيضا على مقتضى اخلاصك لاعتابنا العلية معه على ما يراه وجيها ومناسبا باذلا

---

21) 16 مارس 1572

22) ا. ر. و. ا ، مهمة دفتري رقم 12 ، ص 322

مقدورك في ما يتعلق بالدين والدو(لة) واصلاح أحوال الرعية ليظهر من سعيك المشكور وجدك المشهور تجارة لن تبور هذا هو المأمول منك فان عرض لاعتابنا الشريفة أمير الامراء المشار اليه حسن اهتمامك وفريد اقدامك في امور الدين والدولة وصلاح الامة ، حينئذ يشاهد من جانب سدتنا السنية انواع الاعتزاز والاكرام وتكون مرعيا من عتبتنا العلية بالرعاية الكاملة لان اقصى مراد حضرتنا الوريقة الخاقانية أن يكون جميع اهالي الاسلام تمر في ايام دولتنا العادلة في غاية الامن والامان ونهاية الرفاهية والاطمئنان ويكونون مستريحين منشرحين في اوطانهم وفي ثغورهم آمنين بحيث لا خوف عليهم ولا هم يحزنون والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد لا نبي بعده

15 محرم 981 (23)

الوثيقة رقم 12

هذا مرسومنا (24) الشريف العالي السلطاني ومثالنا المنيف السامي الخاقاني لا زال نافذا بالعون الرباني ومطاعا بالصون السبحاني قد أرسلناه الى مفاخر الاماثل من أعيان ولاية تونس المحمية عن العاهات والبلية ينهى اليهم أنه لما شرفنا الله تعالى بخطاب وجاهدوا في سبيل الله حق جهاده وفضلنا على كثير من عباده وفوض الينا تعمير البلاد وتدمير الكفر واصحاب البغي والعناد فوجب علينا أن ندبر في تلك الامور أحسن التدبير ونقطع بعناية الله القدير دابر القوم الظالمين بالاستيصال والتدبير احضرنا في هذه السنة المباركة سفنا كثيرة الاعداد مشحونة بصنوف الاجناد وضروب أدوات الحروب والات الجهاد للغزاء (كذا) مع اشرار الكفار المتوطنين في سواحل البحار وفوضنا رياسة هؤلاء العساكر الى مفخر مماليكنا الاكابر أمير الامراء الكرام الى قبودان قلج علي باشا وفق الله تعالى لما يحبه وما يشاء والزمنا عليه اتمام تلك الامور لحسن اعتمادنا عليه في سعيه المشكور وجعلنا يده بفضل الله تعالى قوية البطش بقوة عضد سلطنتنا القاهرة ليرهب المخالفون خشية سطوة صولتنا الباهرة واقمناه مقامنا فيعمل برأيه الثاقب ودبر (كذا) بتدبيره الصائب حسبما تقتضيه الحال في المشاجرة والقتال وصممنا ارساله في فصل الربيع من جنابنا الرفيع الى ولاية تونس المحمية صانها الله عن كل البلية فاذا وصل

---

(23) 17 مـاي 1573

(24) ا. ر. و. ا ، مهمة دفتري رقم 21 ، ص 226

اليكم بجنودنا المنصورة ودخلوا في تلك الولايــة المعمورة فعليكم ان تدبــروا
أحسن التدابير في أمور الذخائر لهؤلاء العســاكر والنصرة لهم بجنود الاسلام
في دفع مضرة الاعداء الليام في البر (   ) وعن صميم القلب بالدعاء الخير
وان يطيعوا لــه اخلص الاطاعة وتمتثلوا بما أمــره وتجيبوا لما دعــاه باصغــر
الاجابة فمن أطاعه فقد أطاع لحضرتنا ومن خالفــه فقد عادى لدولتنــا   فــان
استعان منكم اعينوا وتعاونــوا بما امرتم من ادخــار الذخائر وادوات القتــال
وتجهيز العساكر وغيرها فنسأل الله السلام والنصر لعساكر الاسلام فاذا تــم
أمر الكفار بعون الله الملك القهار نصبنا فيها أميــرا من جنابنا الكريم على مــا
صدر منكم في الرضا فيــه والتسليم حتى يكون الرعايــا والبرايا الذين هــم
ودايع الله تعالى آمنين على أنفسهم وأولادهم وعيالهم ومضبوطين ومنتظمين في
جميع أحوالهم ولا يخلو من أن ننظر إليكم بنظر العناية دايما وأبدا ان شاء الله
تعالى والحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبى بعده

3 ذى الحجة 980 (25)

وجهت نسخة من هذا الفرمان الى كل من
سيدى أبو الطيب الحصارى وقائد الجيش سليمان وقاضى تونس

* * *

الوثيقــة رقــم 13

هذا أمرنا (26) الشريف العالى السلطانى لا زال مطاعا له ونافذا بالعون
الربانى قد أرسلناه الى جناب الاميرى الكبيرى الاعدلى   الالطاف مبــارك
أرسلناه الى الجناب العالى الاميرى الكبيرى الاكرمى الامجدى الارشدى الاكملى
الاعدلى النصرى الزخرى (كذا) العونى الغوثى الوتدى (كذا) العضدى
الهمامى الماجدى الاصلى العــربى الحسبى النسبى ، نسل السلالة الهاشميــة
وفرع الشجرة الزكية النبوية طراز العصابة العلوية للامراء الاشراف المطاع له

---

(25) 6 مــاى 1573

(26) ا. د. و. ا ، مهمة دفتــرى رقم 22   ص 332 ، حكم رقم 656 ، راجع الشكل رقــم 2 ،
الصفحة الموالية

بعد وصول التوقيع الشريف العالي السلطاني لا زال مطاعا عاليا ونافذا بالعون الرباني [illegible]
للامير الكبير [illegible] [illegible] مبارك [illegible]
الكبير [illegible] الاكرم [illegible] الاعدل [illegible]
[illegible] الماجد [illegible] المحسن [illegible]
[illegible] [illegible]
[illegible] بالدر النفيس [illegible]
السلطانية [illegible] المغرب [illegible]
منظوم ومنثور [illegible] على امر الله [illegible]
المشركين واعلاء كلمة الدين المتين واجراء احكام الشرع المبين [illegible]
ولاية [illegible] الطاعات والبليات حيث [illegible] المغرب على جيوش الاسلام
[illegible] وقام الحرب على ساق [illegible] كل الاعداء [illegible]
[illegible] السيوف [illegible] الرؤس والالسنة [illegible]
[illegible] [illegible] ذلك من [illegible]
[illegible] الاسلام حيث
[illegible] من بلاد الكفار [illegible] على حرب المشركين الذين [illegible]
[illegible] من اهل الكتاب [illegible]
[illegible] [illegible]
[illegible] في اعلاء اعلام الشرع القويم ورفع الوية الدين المستقيم [illegible]
[illegible] [illegible]
[illegible] [illegible]
[illegible] [illegible]
[illegible] [illegible]
والسلام على من اتبع الهدى

الشكل رقم 4 رسالة من الباب العالي الى الحاكم بولاية فاس
ا. و. و. ا. مهمة دفترى رقم 22 ، ص 332

الحاتم العادل بولاية فاس المحمية بحماية ملك الناس ينهى لعمله الكريم أنه قد ورد كتابه الذى حلى بالدر النظيم الى سدتنا السنية السلطانية وعتبتنا العلية الخاقانية ففضضنا (ه) وشممنا مخايل النصر من سطوره ونزهنا النواظر فى رياض منظومه ومنثوره وألفيناه متضمنا ومحتويا على ما من الله العليم ويسره للمعز الكريم من نصر المؤمنين وقهر الاعداء المشركين واعلاء كلمة الدين المتين واجراء احكام الشرع المبين وبذل المقدور فى معاضدة أهالى ولاية أندلس المحمية حماها الله عن العاهات والبلية حيث هبت نسمات النصر على جيوش الاسلام فقيل يا خيل الله اركبى وبأيد (كذا) النصر اكتبى وقام الحرب على ساق وأضحى كل الاعداء الى حتفه يساق وهجرت السيوف الاسلاميه لاعتماد (كذا) واقسمت أنها لا تقر الا فى الرؤس (كذا) والاسنة أشرعت وآلت أنها الا تروى ظماءها (كذا) الا من دماء النفوس وغير ذلك من غرض الاخلاص لسدتنا السنية وانهاء الاختصاص لتعبتنا العلية فقد فهمنا جميع ما فيه واطلعنا على كل الاسلام حيث سلكت ملكت وأين جنحت من بلاد الكفر أسرت وفتحت وظفرهم على حرب المشركين الذين ذعير (كذا) من هيبتنا دانيهم وقاصيهم ، أنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيهم فالمامول منكم ان تكون المودت (كذا) بيننا مرصوص البنيان وبنيان المحبة متينا (؟) الاركان يرفع مبانى العدل والانصاف ويقلع أساس الجور والاعتساف ويبذل جهدكم فى اعلاء اعلام الشرع القويم ورفع الوية الدين المستقيم وفتح أبواب البر على البرايا ونصيب اعلام الرعاية واصطياد القلوب باشتباك العواطف وانقياد النفوس بأزمة العوارف (؟) حيث انام الانام (كذا) حسن حمايتكم وأقيم الاقوام فى ظل رعايتكم فوصلوا الى ما نالوا فى أيام دولتنا ونالوا ما املوا من حضرتنا فيدعو لصحايف سلطتنا ودوام دولتنا وثبات دايما ابدا سرمدا بصفاء الطوية وخلوص البال ما دارت الايام والليالى والحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبى بعده

جماد الاول 981 (27)

* * *

الوثيقة رقم 14

هذا مرسومنا (28) الشريف العالى السلطانى وأمرنا المنيف السامى الخاقانى أرسلناه الى الشيخ الكبيرى الاكرمى الامجدى الارشدى الاوحدى امين الملة معتمد الدولة الشيخ على بن عامر دام مجده يعرف مضمونه

---

(27) سبتمبر 1573

(28) ا. د. و. ا ، مهمة دفترى رقم 23 ص 293

الميمون انه لا يخفي عليكم بان بذل الجد والاجتهاد في أمر الجهاد والشفقة على العباد من الحاضر والباد (كذا) وتخليص الممالك والولايات وانقاذ الانفس من المهالك والورطات مسلكنا الشريف الجميل وسمتنا اللطيف الجليل وليس بفعل الله تعالى افتقاره ولا بغية وما في ضميرنا ارادة ولا منية سوى رفاهية العالم ولحنا (كذا) يدينه (كذا) قلوب بني آدم فلا يخفي عليكم انه قد استمع واتضح بعلمنا الشريف العالي ما صدر منكم ونشأ من جنابكم قبل هذا من مزيد الجد والاجتهاد وحسن الطاعة والانقياد وتمام المتابعة لاعتابنا العلية بالمعمورة والمعونة لحدودنا القوية المنصورة بقلبكم وبقالبكم هذ هو المأمول منكم بيض الله وجهكم يوم تبيض وجوه الصادقين ، لا جرم قد أرسلنا الى تلك الجوانب كذلك عمارتنا المنصورة مع عساكرنا الغزاة ، فلتكونوا كذلك مع ما أنتم عليه من قبل ومن بعد كما هو مركوز في جبلتكم الحسنة وطريقتكم المرغوبة المستحسنة من المعاونة والمظاهرة لعساكرنا المترودة (كذا) ؟ (ولعلها المترددة) باذلا مجهودكم صادقا مقدوركم مع كمال الجد والاجتهاد لمعاونة حماة الدين المتين وقطع دابر القوم الكفرة العندة المتمردين كما قال الله تعالى تعاونوا على البر والتقوى ومضمونه الشرد (كذا) ، وغاية المطلوب والجدوى لان عزمنا الشريف العالي السلطاني دايما الى الغزو في سبيل الله والجهاد باعداء (كذا) اللهواطفاء نائرة الكفرة خذلهم الله ومرادارادتنا العلية الشهنشاهية ان يكون الرعايا والبرايا في أيام دولتنا الفايقة العادلة آمنين ومطمئنين تحت ظل كنف حمايتنا ثغورهم مسدودة بسد سديد وقلاعهم مصونة ومدنهم محفوفة بالامن والامان وألسنتهم رطبة بالدعاء الصالح لدوام دولتنا العادلة (على) مر الدهور والازمان ومنشرحين فرحين بحيث لا خوف عليهم ولا هم يحزنون والله تعالى هو المعين بمنه ويمنه ، 21 شوال 981 (29)

وجهت نسخة من هذا الفرمان الى

شيوخ القيروان والى سيدي محمد باي

* * *

الوثيقة رقم 15

هذا مرسومنا (30) الشريف العالي السلطاني ومثالنا المنيف السامي الخاقاني مبارك أرسلناه الى الجناب الاميري الكبيري الارشدي الافخمي الامير أحمد حاكم زوارة دام مجده يتهى اليه انا قد صممنا الجهاد مع الكفرة ودفع

---

(29) 13 جانفي 1674

(30) إ. و. أ ، مهمة دفتري رقم 23 ، ص 813

مضرات ارباب البغي والعناد وتوكلنا على عون الله تعالى وحسن توفيقه وعناياته وتوسلنا بكرامات سيد الانبياء ومعجزات عليه السلام وعلى آله وصحبه أفضل الصلوات وأكمل التحيات وجهزنا السفاين المملوءة بأنواع الات الحرب والقتال واصناف أدوات الضرب والنزال وأملينا (كذا) كلها بابطال الرجال المبارزين لاعلاء كلمة الدين المبين ثم أرسلناه اليكم مع مملوك عتبتنا العالية الشان القايد سليمان زيد قدره الخلعة الفاخرة فاذا وصل اليكم كتابنا الشريف وحكمنا المنيف فعليكم ان تلقاها بالتعظيم والاجلال وتليها شاكرا على نعماء الله المتعال وان تظهر ما أضمر فيكم من الشجاعت (كذا) والجلالة في المحاربة لدفع المضرة و (.....) وان تحضر الذخائر الوافر (ة) والزوائد المتكاثرة لعساكرنا المنصورة بالطاف الله المبرورة الواردين على تلك الديار لدفع شرور أشرار الكفار فاذا ورد عليكم أمرنا الشريف وحكمنا المنيف بعد هذا وطلب منكم الذخاير للعساكر الجليلة المآثر ادفعوها الى من طلب منكم بأمرنا الشريف وتعاونوا بالعساكر وأدوات القتال

وجهت نسخة من هذا الفرمان الى
جناب حاكم ولايت (كذا) عباس — 15 ذ. القعدة 981 (31)

* * *

الوثيقة رقم 16

هذا مرسومنا (32) الى قد أرسلناه الى الجناب الشيخ على دام مجده ينهى اليه أنه قد ورد على سدتنا السنية كتاب أمير الامراء الكرام بولاية تونس المحمية في اواسط ذي القعدة المباركة لسنة احدى وثمانين وتسعمائة من الهجرة النبوية تضمن على أن كفرة اسبانيا خذلهم تعالى القاهر الى يوم الدين قد جمع جنوده عبدة الشياطين وبالغ في الاحتشاد واستكثروا أوليائه الطاغين أولى البغي والفساد وأتى بهم بغتة مع السفن على الولاية المزبورة فحاصروا قلعتي تونس وبكرد (بنزرت) وحاربوا عساكرنا المنصورة فتعلقت ارادة الله الملك المتعال بما تضمنه الحرب سجال وأنكم تناصرتم جنود الاسلام وقابلتم الكفار الليام وعاونتم وسعيتم في التناصر حسب المقدور وبذلتم جهدكم في تلك الامور وغير ذلك من تكميل مهمات الجهاد وبذل الاجتهاد في دفع

---

(31) 8 مارس 1574

(32) ا. د. و. ا ، مهمة دفترى رقم 24 ، ص 55

السداد ورفع النشاد جزاكم الله خير الجزاء في يوم الميعاد ، فلما أحاط علمنا الشريف جميع ما فيه ، واستوضح كل ما يحتويه قمنا على أقدام الاقدام وركضنا بأرجل الاهتمام فجهزنا سفاين مملوءة بأبطال الرجال وآلات الحرب والقتال وصممنا ارساله في فصل الربيع لتلك السنة لتخليص ما أخذه الكفار من القلاع والبقاع في تلك الديار وتسخير قلعة حلق الواد وغيرها من المداين الحربية ومواطن أرباب الفساد متوكلا على فضل الله مرسل الرياح ومتوسلا بمعجزات من هو مرسل الفتاح حامدا الله على ما آتانا من لدنه سلطانا نصيرا وكرم بذلك اسمنا في كل قطر منبرا وسريرا وحمد بنا الثغور الاسلامية وحرمتها وكثر الحماة الخالصين والكماة المخلصين ..... فاذا وصل اليكم كتابنا هذا فالمأمول منكم أن تمتثلوا به أحسن الامتثال وتكونوا مع المشار اليه على أوفق حال فيما يتعلق بحماية بيضة الاسلام واعلاء كلمة الله العلام والاعانة له بالعساكر وأدوات الحرب واوفر الذخاير الوافية لمبادنا المرسلين مع السفن للجهاد لان أقصى مطالبنا السنية وقصوى مآربنا أن تكون الرعايا والبرايا الذين هم ودايع الله تعالى مطمئنين مرفهين في فيء حمايتنا ومستظلين بظل حكومتنا وعدالتنا ان الله تعالى لا يضيع أجر خدمتكم لدولتنا بجنود المسلمين

ان الله لا يضيع أجر المحسنين والحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده .

3 ــ 5 ذي الحجة 981 (33)

* * *

الوثيقة رقم 17

هذا كتابنا (34) الشريف العالى السلطاني وخطابنا المنيف السامي الخاقاني لا زال نافذا فى المشارق والمغارب الى الجناب الامير الكبير الامجدي الارشدي الاكملي الاعدلي النضرى (كذا) الذخرى (كذا) العونى الغوثى الوتدى (كذا) العضدى الامامي الهمامي الاصلى العريقى الحبسي نسل السلالة الهاشمية فرع الشجرة الزكية النبوية سند الملة المحمدية طراز العصابة العلوية سيد الامراء الاشراف فى العالمين نصير الغزاة والمجاهدين ظهير الملوك والسلاطين المحصن بمزيد عناية الملك المبين الامير عبد الملك الوالي يومئذ بولاية فاس أدام الله تعالى سعده وأنجح قصده ينهى الى جنابهم (كذا) الكريم أنهم قد امتازوا بين الاقران والاشراف وساير امراء الاطراف والاكناف بالانتساب الى جنابنا الشريف العالي السلطاني والاستناد الى بابنا

---

(33) 28 مارس 1574

(34) أ. و. ع. أ ، مهمة دفترى رقم 30 ، ص 210 ، حكم رقم 491

المنيف السامي الخاقاني وقد تيسر لكم الارتقاء الى أعلى الدرجات والمراتب والاتصال الى جميع المقاصد والمآرب وتحصل مرادكم من ما بينكم وانقيادكم فالواجب عليكم وعلى من لديكم بمقابلة هذا لمن واعلى (كذا) عليكم أن تكونوا في جادة الصداقة وطريق الاستقامة ثابتين ودائمين وتعينوا الغزاة المؤمنين وكماة الموحدين وتستحضروا السفاين العديدة المسلحة وتعينوا للسفاين الت ـمر من جانب اعتابنا العلية وتتفقوا أحسن الاتفاق والاتحاد مع امير الكرام حسن باشا دام اقباله الوالي يومئذ بولا (ية) جزاير الغ ب وتدفعوا مضرة الاعداء وكيد الكفرة وساير الاشقياء وتبذلوا غاية جدكم وتصرفوا نصر جهدكم في طريق الغزاة والجهاد واصلاح أحوال الرعايا وساير اهالي البلاد حتى تكونوا مستأهلين لأنواع الالطاف العلية ومستوجبين لأصناف الاعطاف الجزيلة فان الله تعالى لا يضيع أجر المجاهدين

22 ربيع الاول 985 (35)

* * *

الوثيقة رقم 18

هذا كتابنا (36) الشريف العالي السلطاني وخطابنا المنيف الخاقاني لا زال نافذا بالعون الرباني ومطاعا له في القاصي والداني اصدرناه وأرسلناه (كذا) مصوبا في الحرب الوجيز الى الجناب الامري (كذا) الكبيري الهمامي النصري الامجدي الاكملي الارشدي الاعدلي الاصلي الحسبي العريقي النسبي ، نسل السلالة الهاشمية فرع الشجرة الزكية النبوية نصير الغزاة ظهير المجاهدين المحفوف بصنوف عواطف الملك المعين مولاي عبد الملك الحكم (كذا) يومئذ بولاية فاس ومرانقوش (كذا) دام تجني من أغصان (كذا) وما (كذا) ثمرات نصرة الجيوش ، ينهى ما فيه ويفصح ان الله تعالى تواتر على البريا (كذا) ونوالي لما أنعم وتفضل علينا بتقليد خلافته في الارضين فخضعت لركابنا وانقادت رقاب أساطين السلاطين ووفقنا بسلوك مناهج الملك والكفاية والنهوض لصالح الخلق والولاية بسطنا سياط الامن والأمان شكرا لنعمه المتوافرة ومننه المتظافرة وامتثلنا لنصران (كذا) الله يأمركم بالعد (ل) والاحسان بعنايته المتظاهرة وصرفنا عنان العناية الى تمهيد قواعد السلطنة بعدما تخلخل وبتشييد مباني الدولة اثر ما تزلزل حتى صار كل من البدعة والضلال والكفر والجدال منهدمة البنا ومتعرة الفنا (كذا) وفتحنا أبواب اللطف والانعام وكشفنا قناع القهر ..د نتقام على وجوه الاحباب الكرام وعن

(35) 9 جوان 1577 .

(36) ا. د. و. ا ، مهمة دفتري رقم 30 ، ص 211 ، حكم رقم 492

جبيس الاعداء اللئام فمن التجأ اليها بخلوص الولا (كذا) فقد فاز بكل ما ارتجا (كذا) وصعد وارتقى على أعلى الدرجات ومن تجنب عنهـا وجرب هبـط في اسفل الدركات ، فان كنتم على قدم الصداقة قائمـا وساق الاستقامـة ثابتـا دايما في الانتماء والانتساب الى أبوابنا العالية الاعتاب لحصل لكم الارتقاء على المراتب وقصوى المقاصد والمآرب والامتياز الاماثل والاقران بعلو القدر وسمو الشأن ويكون أركان المودة بيننا مرصوص البنيان وبنيان المحبة سديد الاركان، فلما آل الحال الى هذا المـآل وجب عليكم وعلى كل من كان لديكم أن يجتهد في تشييد مباني الاخلاص ومعاقد الاختصاص ويعامل مع أمير الا (مراء) الكـرام حسن باشا أدام الله اقباله وحسنت خصاله ، الذى قلدناه ولاية جزاير الغرب صانها الله واهلها عن استيلاء الحرب ، ومع ساير نواب سلطتنا القاهرة وخدام عتبتنا العلية حسن المعاملة والاتفاق العارى عن سوء الشقاق فيما يتعلق بصيانة عرض الدولة والدين واحكام الشرع المبين واذا أحضرنا مـن سدتنا السنية لدفع ضرر الأعداء عن تلك الديار أو للجهـاد مع الكفار سفنـا مملوءة بأبطال الرجال وفلكـا مشحونـا (كذا) بأدوات الضرب والنـزال ، فعليكم أن تعاونوا اياهم بالعساكـر والات الحـرب والذخايـر وغيرهـا ممـا يتفرع (؟) عليه التصرف والتاييد والاعتقاد حتى يكون (كذا) المملكتان كبير (كذا) وصغيرة (كذا) في جسد وساعد ...،.. في عضد (كذا) لفرط الاتحاد فينقلب كل منهم الى اهله مسرورا وكان سعيكم مشكورا و والمسافرون يصدرون عنهما واليهما يترددون في حرز الامن والسلامة ويدعون بالخير لصحايفنا الكريمة الى يوم القيمـة (كذا) وتجرى احضـار الرسائـل والمكاتبات في استقراض الخدمات والمهمات دايما أبدا سرمدا والحمد لله وحده والسلام على من (لا) نبي بعده تم

22 ربيـــع الاول 985 (37)

---

(37) 9 جـوان 1577

كشاف الإعلام والجماعات

* ت

ث

* ج *

* ح *

* خ

كشاف الأماكن الجغرافية

قائمة المراجع العربية

— إبن أياس ، بدائع الزهور في وقائق الدهور، ج 3 و4 و5 تحقيق محمد مصطفى، الطبعة الأولى.

— بابا عمر، سليم «الزهرة النيرة فيما جرى في الجزائر حين غارت عليها جنود الكفرة» في مجلة تاريخ وحضارة المغرب، عدد 3، الجزائر 1967.

— د. البخيت عدنان «رسالة من السلطان العثماني بايزيد الثاني إلى عبد المؤمن بن إبراهيم بن عمر العلمي سنة 896 هـ/ 1495 م» في المجلة التاريخية المغربية، عدد 10 - 11، تونس 1978.

— د. بلحميسي، مولاي «غارة شارل الخامس على مدينة الجزائر بين المصادر الاسلاميّة والمصادر الغربيّة «في مجلة تاريخ وحضارة المغرب، عدد 6 و 7، الجزائر 1969.

— د. التميمي، عبد الجليل، (تحت إشرافه) الأدب الألخميادو - الموريسكي : تزاوج لغوي وعالم الاستطرادات الامتناهي، 159ص بالعربيّة و 160ص بالاسبانيّة والفرنسيّة، تونس، 1986.

— د. حتامله، محمد عبدو، التنصير القسري لمسلمي الأندلس في عهد الملكين الكاثوليكيين (1474 - 1516)، عمان 1980.

د. حومد، أسعد، محنة العرب في الأندلس، 328ص ، بيروت، 1980.

— د. الراقد، محمد عبد المنعم السيد، الغزو العثماني لمصر ونتائجه على الوطن العربي، القاهرة، 1972.

— د. رافق، عبد الكريم، العرب والعثمانيين، 605ص دمشق، 1947.

— د. الساحلي، خليل، «تقليد صالح باشا ولاية الجزائر سنة 1552، في المجلة التاريخيّة المغربيّة، عدد2، تونس 1974.

— د. الساحلي، خليل، « وثائق عن المغرب العثماني أثناء حرب مالطة سنة 1565، في المجلة التاريخيّة المغربيّة ، عدد7 - 8، تونس 1977.

— سامي شمس الدين ، قاموس الاعلام، ج 1، إستانبول، 1888.

— السراج، الوزير، الحلل السندسية في الإخبار التونسيّة ، تقديم وتحقيق محمد الحبيب الهيلة، ج2 القسم الأول، تونس1973 وقد ظهرت طبعة كاملة لدى دار الغرب الاسلامي، في ثلاث أجزاء، بيروت، 1984.

— د. سعد الله، أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 1، 598ص، الجزائر، 1981.

— د. الشناوي، عبد العزيز محمد، الدولة العثمانيّة، دولة إسلاميّة

مفتري عليها، 4 أجزاء، القاهرة، 1980 - 1986.

— د. الصباغ، ليلى، «المجتمع العربي السوري في مطلع العهد العثماني، » دمشق، 1973.

— د. الصباغ، ليلى، «ثورة مسلمي غرناطة عام 976 هـ أو أواخر سنة 1568 والدولة العثمانيّة، في مجلة الأصالة، عدد 27، الجزائر، 1975.

— د. الصباغ، ليلى، «الوجود المغربي في المشرق المتوسطي في العصر الحديث» في المجلة التاريخيّة المغربيّة، عدد 7 - 8، تونس 1977.

— د. فورنال - فارين، جاكلين «الصيدلة الموريسكيّة وممارسة الطب لدى المجموعة الموريسكيّة بمنطقة أراقون. 1540 - 1620»، في المجلة التاريخيّة المغربيّة، عدد 10 - 12، تونس 1979، تعريب د. عبد الجليل التميمي.

— د. عنان، محمد عبد الله، «نهاية الأندلس وتاريخ العرب المستنصرين، القاهرة»، 1966.

— كاتب شلبي، تحفة الكبار في أسفار البحار، استانبول،1911.

— د. كارדياك، لوي، «الموريسكيون الأندلسيون والمسيحيون المجادلة الكلامية 1492 - 1640 » مع ملحق لدراسة عن الموريسكيين بأمركا، تعريب د. عبد الجليل التميمي، 201، تونس، 1983.

— كراموز «الأتراك، دائرة المعارف الإسلاميّة، باللّغة العربيّة» ج 2، القاهرة، 1969.

— د. لوباث بارالت، لوثي «النبوءة في الأدب الألخميدو والموريسكي للأندلس من خلال مخطوطة بالمكاتبة الوطنيّة بباديس» في المجلة التاريخيّة المغربيّة » ، عدد 21 - 22، تونس 1981، تعديب د. عبد الجليل التميمي

— المقري، «ازهار الرياض في أخبار عياض»، ج 1، القاهرة، 1939.